محاضرات في اللسانيات التداولية

د. خديجة بوخشة

مستوى : السنة الثالثة ل م د LMD

مقدمة:

تشمل هذه المحاضرات جملة من المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية، موجهة إلى طلبة السنة الثالثة ل م د LMD، وقد تم شرح تلك المفاهيم ليتمكن طلبتنا من تفكيكها واستخدامها في تحليل خطابات شعرية أو نثرية وفق المنهج التداولي.

جاءت المحاضرات على شكل أبحاث أولينا فيها اهتماما خاصا بتوثيق المراجع بإيراد الهوامش في آخر كل صفحة . كما جاء التنسيق بين المحاضرات تنسيقا يأخذ بالحسبان توزيع المعلومات حسب مقتضياتها وبالاحتكام إلى مجموعة من المراجع معتمدين في ذلك على التدرج قي طرح المعلومات ؛ من أجل الربط بين الأفكار وضمان انسجامها وتسيير فهمها، والاستعانة بأمثلة على توضيح المفاهيم وتقريبها وتحليلها ، وهذا التحليل يساعد الطلبة في حصة التطبيق على اعتماده عند تعاملهم مع خطابات شعرية أو نثرية وتحليلها وفق مفهوم تداولي معين، هذا من جهة ومن جهة أخرى يساعد على شرح المفهوم التداولي وتبيين علاقته بالمفاهيم التداولية الأخرى.

أدرجنا في بعض هوامش هذه المحاضرات تعريفا لبعض فلاسفة اللغة المؤسسين والمؤثرين في الدرس اللساني التداولي كما أدرجنا شروحا لبعض المصطلحات نظرا للمشكل المصطلحي الراجع إلى تعدد في المفاهيم وتداخلها، وجاءت التعاليق بطريقة توضيحية وإرجاع المصطلح إلى لغته الأصلية والتنبيه إلى المصطلحات الواردة في بعض الكتب العربية أو المترجمة التي حتى وإن اختلفت فهي تعود إلى مصطلح واحد.

المحاضرة الأولى:الفلسفة التحليلية والفكر التداولي.

تمهيد:

شهد العالم مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تقدما علميا كبيرا، ولعل من أهم سمات هذا التقدم ما أفرزته العلوم الرياضية والعامة ككل، وقد تجلّى تأثيرها العميق في الاتجاهات الفلسفية ؛ حيث فُتحت آفاق جديدة، وغدا "التحليل" السمة المميّزة في كل ذلك، وقد أدّى كل ذلك بالمفكرين المحدثين إلى تجاوز الاتجاه الميتافيزيقي، ومن هنا كان الطابع الأساسي للفلسفية المعاصرة هو الطابع التحليلي "الواقعي" المتناسق مع روح العصر الرياضية.

ومن هذا المنطلق ثار الفلاسفة المعاصرون على الاتّجاهات السائدة قبل القرن العشرين مثل الاتجاه المثالي الميتافيزيقي، مرتكزين على الطابع المادي والواقعي في التعامل مع الأشياء؛ ضمن ما يسمى بالفلسفة التحليلية.

الفلسفة التحليلية:إنّ المتأمل في الفلسفة الحديثة يلاحظ أنها قد تجاذبتها مناهج مختلفة في الطرح، وفي بعض الأحيان تكون متضاربة، ولعل أهم شيء قد نسجله ضمن كل ذلك التحول الجذري في الطرح في الحقل الفلسفي؛ حيث انتقل من البحث في تكون المعرفة حول الأشياء والكون إلى البحث في اللغة ، ويعود الفضل لهذا التحول للاتجاه التحليلي.

ومصطلح "التحليل" يعود في استخدامه إلى الفلاسفة اليونانيين أمثال أفلاطون وغيره، لكنه كمنهج علمي للبحث الفلسفي ظهر خلال القرن العشرين بفضل نشاط علماء قدموا تصورات دقيقة ومتطورة تجاوزوا من خلالها الأفكار الموروثة مقترحين طرقا وكيفيات جديدة في البحث الفلسفي ككل، وعلى رأس هؤلاء نجد "فريجيه G. Frege"(1848-1925) من خلال كتابه أسس علم الحساب fondements de l'arithmétique ؛ فقد طرح تصورات مختلفة حول الفلسفة والمنطق، وكل هذا يندرج ضمن التحول الذي عرفته الفلسفة من البحث عن معرفة الكون إلى البحث عن طبيعة التصورات التي يبنيها الإنسان حوله انطلاقا من اللغة.[1]

1 ينظر مسعود صحراوي: : التداولية عند العلماء العرب, دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, ط1, 2005 ص37.

وتعدّ "الفلسفة التحليلية" أبرز اتّجاه فلسفي معاصر يعبّر عن الروح العلمية التي تجلت في العلوم الرياضية والعامة ككلّ، وهي تضم عددا من المذاهب المتجانسة مثل الواقعية الجديدة ومؤسسها الفيلسوف الإنجليزي"جورج مور"، والذي سار في طريقها بعد ذلك"برتراند راسل". وكذلك الوضعية المنطقية التي ظهرت أولا على يد "موريس"، ثم حمل لواءها بعد ذلك "آير وكارناب". إلا أنّ أشهر من عبر عن هذا الاتجاه العام للفلسفة التحليلية هو "برتراند راسل"، إذ جمع في فلسفته أحدث التطورات الرياضية، وآخر الكشوف العلمية الذرية، مما جعل الباحثين يطلقون على فلسفته "اسم الفلسفة التحليلية أو الرياضية"[1].

ماهية الفلسفة التحليلية:تعني كلمة "تحليل" في اللغة "الفك والفتح"، فيقال "حلّ وحلّل العقدة؛ أي فتحها فانحلّت، أي حلّ وفكّ كل ما هو مركب إلى أجزائه".[2]

أما في المجال الفلسفي فتفيد كلمة "تحليل" الفك أو ردّ الفك أو رد الموضوع الذي نتناوله بالبحث إلى مصادره أو عناصره الأولية، سواء أكان ذلك الموضوع فكرة أ قضية أو عبارة من عبارات اللغة. والواقع إنّ معنى التحليل في الفلسفة المعاصرة أصبح أكثر وأشدّ ارتباطا بالتوضيح؛ فهو يبرز ويوضح ما نعرفه بشكل غامض فالتوضيح يأتي عن طريق إبراز عناصر الموضوع الذي نحلله، بحيث يصبح إمكانية تحقيق العبارة اللغوية مرتبطا بمطابقتها لما ترسمه أو تصوره من وقائع العالم الخارجي.

ومنه يمكن تعريف الفلسفة التحليلية بأنها«عملية يراد بها اكتشاف عناصر موضوع معين من اجل غرض خاص، وهذا يعني أنّ الغرض من التحليل هو تقليل درجة الغموض في المركبات بتوجيه الانتباه إلى الأجزاء المتعددة التي تتركب منها»[3].

وقد ذكر شوفييه Stéphane Chauvier أنها تمثّل «تلك الفلسفة التي ترى أنّ التحليل الفلسفي للغة كفيل بإيصالنا إلى تحليل فلسفي للفكر ، وتفسير الفكر كفيل بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون»[4]. فهذا الاتجاه هو طرح بديل في تفسير الجدلية لطروحات في تفسير الكون ، الغاية منه بناء تصور دقيق حول الكون والسبيل إلى ذلك هو اللغة.

1 ينظر مسعود صحراوي: : التداولية عند العلماء العرب, دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي38.

2 ابن منظرو، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد11، ط 3، 1994، مادة (حلل).

3 ناصر إبراهيم: فلسفات التربية، عمان دار وائل للنشر والتوزيع،ط2-2004.

4 د. مسعود صحرواي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص40.

ويعتبر هذا الاتجاه المدرسة الفلسفية الأكثر بين فلاسفة البلدان الناطقة بالإنجليزية؛ إذ تتميز عن غيرها من الدول الناطقة بهذه اللغة باعتمادها بشكل رئيسي على أفكار مؤسسيها من جامعة "كامبريدج"(في بريطانيا) "جي آي مورو وبرتراند راسل Rassel" ؛ لكن كليهما في النهاية كان متأثرا بأفكار ومؤلفات الفيلسوف الألماني "غوتليب فريجه G.Frege"، والعديد من الفلاسفة الروّاد في المنحى التحليلي من ألمانيا والنمسا.

ويعتبر المنطق وفلسفة اللغة " من أهم أساسيات الفلسفة التحليلية منذ بدايتها، وقد تولدت عنها بعد ذلك توجهات مختلفة منها"الإيجابية المنطقية" و"التجريبية المنطقية" وفلسفة اللغة " وغير ذلك.

3- ظهور النزعة التحليلية:نشأت النزعة التحليلية كرد فعل ضد النزعات المثالية الميتافيزيقية بصفة عامة، وضد الاتجاه الهيجلي بصفة خاصة ، فهذا المنحى التحليلي المعاصر عبّر عن الروح العلمية الرياضية، وهو يقوم على التحليل المنطقي للعبارة واللغة بصورة عامة، مع تحليل طبيعة القضايا في العلوم الرياضية، فهو يضع الميتافيزيقة تحت معاول التحليل مبيّنا أنّ قضاياها فارغة لا معنى لها.

وقد وضع فلاسفة التحليل مناهج علمية جديدة في الفلسفة تقوم على التحليل المنطقي للغة، وهذه الطريقة المنهجية العلمية أثبتت جدارتها في القدرة على التمييز بين مفاهيم الميتافيزيقية وقضاياها من جهة وفي إيجاد قواعد علمية تشتمل الاستقراء والاستدلال من جهة أخرى.

وهذه المناهج التحليلية مدارس أخرى، وهي تؤكد أنّ وظيفة الفلسفة للغة والتحليل اللغوي الأكثر دقة وتطورا على المشكلات الفلسفية التقليدية.

4- **اتجاهات الفلسفة التحليلية**:تتفرع عن الفلسفة التحليلية اتجاهات عدة منها على الخصوص:

أ-الوضعانية المنطقية: Positivisme Logigue ومن روادها الأساسيين رودولف كارناب Rudolph Carnap [1]، وهو عضو فعال في حلقة فيينا[2]، وقد دعا إلى تحليل اللغة تحليلا

1 ولد في ألمانيا عام 1891، وتوفي عام 1970 ومن أهم أساتذته فريجيه الذي تأثر بنظرته الجديدة إلى الفلسفة والمنطق، ومن أهم أعماله "استبعاد الميتافيزيقيا عبر التحليل المنطقي للغة" سنة1959، فقد دعا الفلاسفة من خلاله إلى البحث في اللغة واتخاذها مادة فلسفية، والبناء المنطقي للعالم" ، وموجز المنطق الرياضي، "مدخل إلى علم المعاني"، "الفلسفة والبناء المنطقي" وغير ذلك. ينظر فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص89.

2 حلقة فيينا نادٍ يتكون من رياضيين وفلاسفة ومناطقة، وقد سعوا إلى ابتكار لغة واصفة مشتركة لكل المجالات العلمية تسمح بإجراء تحليل صارم، قادهم هذا المسعى إلى النظر في اللغة الموضوع قبل كل شيء ، ذلك أن فيتجنشتاين هو يرى أن قبل الاستعمال هو الذي يوفر معنى

منطقيا، ولكنه لاحظ أنّ اللغة الطبيعية (العادية) تسيء إلى الواقع لاتّصافها بالاعتباطية والغموض وحتى التناقض في بعض الأحيان، لذلك لابد من استبدالها بلغة منطقية صارمة، فسعى إلى تكوين لغة صارمة تتسم بالصرامة والمنطقية والدقة، وهي بحسبه من مفتقدات اللغة الطبيعية. فاستفادوا باكتشاف الثغرات التي تتصف بها اللغة الطبيعية من أجل بناء تصور علمي صارم للغة الاصطناعية.

وعن الكيفية إلى ذلك ترى مدرسة "كارناب" أنها«التحليل الفزيولوجي للسياقات، وتكون فيها الأعضاء الصوتية والجهاز العصبي قاعدة، في علاقة بالنشاطات الشفوية؛ فالتحليل السيكوجي للعلاقات بين السلوك الشفوي والسلوكات الأخرى، والدراسة السيكولوجية لمختلف المعاني المصاحبة لنفس الكلمة، عند مختلف الأفراد، والدراسات الإثنولوجية والسوسيولوجية لطرق الكلام واختلافاتها، بحسب الجماعات والأعمار والطبقات الاجتماعية، ودراسة الطرق المستعملة من طرف العلماء لتسجيل نتائج تجاربهم إلخ»[1].

ومنه أن الكيفية تتحقق عبر البحث في ثلاثة مستويات هي:

1- التحليل الفيزيولوجي للسياقات، وتكون فيها الأعضاء الصوتية والجهاز العصبي قاعدة العلاقة بالنشاطات الشفوية.

2- التحليل السيكولوجي للعلاقة بين السلوك اللغوي والسلوكات، ثم الدراسة السيكولوجية لمختلف لمختلف المعاني المصاحبة لنفس الكلمة عند مختلف الأفراد.

3- الدراسة الإثنولوجية السوسيولوجية لطرق الكلام واختلافاتها بحسب الجماعات والأعمار والطبقات الاجتماعية.

ب-الظاهراتية اللغوية:Phénoménologie du langage استُعمل مصطلح الفينومينولوجيا "علم الظواهر" أولا في علم النفس ليدل على الظواهر السيكولوجية (الرغبة، الإحساس، الشعور...) وباقي مظاهر الوعي في محتواه النفسي، والقائمة على ملاحظة الظاهرة ووصفها كما هي معطاة، قصد تحليلها وتحديد خصائصها وفهمها على وجه الخصوص.

القول .وقبل الحرب العالمية الثانية غادر أعضاء هذا النادي بلادهم واستقروا في الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد وضع هذا النادي "التجريبية المنطقية" التي تقوم فكرتها الأساسية على قصر المشاكل والقضايا الفلسفية لدراسة صور الجمل المنطقية.

1 فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية ترجمة سعيد علوش ص34.

وتعني في إطارها الفلسفي تحديد بنية الظواهر وشروطها العامة، بمعنى مشكل الظهور أو الانبثاق لأي ظاهرة كانت، والذي يتصل لأول وهلة اتّصالا مباشرا بالوعي. وأول التقاء للوعي الذي تثيره أو تجلب انتباهه ظاهرة معينة هو صلب المسائل التي تحول الفينومينولوجيا معالجتها.

ويمكن بيان تصوير هذه المسألة بأول وميض يثير البصر إليه، وهذه الإثارة لا تبقى في محيط الانفعالات السيكولوجية ؛ بل ترتقي في مضمونها الفلسفي الأنطولوجي إلى فضاء الماهيات (Essences) قصد رصد ماهية الظاهرة التي تتجلى للوعي.

فالفينومينولوجيا تختص بصيغة صور الظواهر من خلال إضفاء المعاني والدلالات عليها وإكسابها ماهيات تعبر عن خصوصياتها وتميزها. ومراحل الصياغة والدلالة هي مراتب الالتقاء بين الوعي والأشياء الكائنة خارجه. ويتشكل المعنى من التوجه الذي يباشره الوعي اتجاه موضوعه، وهو ما يسمسه "هورسل" بالقصدية Intentionnalité ، وهو نمط العلاقة التي تربط الوعي بمضمون الظاهرة، إنها القدرة التي يمتلكها الوعي في رصد الموضوع، أو بالأحرى كينونة الوعي كانفتاح على الموضوع.

وبما أنّ "هورسل" قد اختار أن يعرف القصدية والفهم بوصفهما حدثين غير زمانيين، فقد تمكن من تحويل الاتصال مع بقية البشر إلى مجموعة الشروط المنطقية التي تتعلق بالمعنى والتعابير الخالية من أي احتمال، وبذا يعد عرضه للمعنى منطقيا.

ومما يلاحظ على هذا الاتجاه أنه يبحث في أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية؛ إذ يبحث فيه صاحبه في العلاقات والتصورات السابقة عن اللغة وهي في غاية التجريد، كما أنه بمنظوره هذا في الوعي والدلالة لا يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الاستعمال اليومي، والذي يتغيّر ويتنوّع بحسب الإطارات الزمنية والمكانية المختلفة التي تقتضيها اللغة العادية.

ج– فلسفة اللغة العادية: Philosophie du langage ordinaire فلسفة اللغة العادية هي فلسفة تنطلق في أساسها من ضرورة الاهتمام باللغة الطبيعية العادية باعتبارها السبيل الأهم إلى فهم القضايا التي يطرحها هذا الحقل، لا يكون البحث الفلسفي مجديا إلا إذا اتّخذ "اللغة" موضوعا للدراسة الفلسفية.

وقد رأى رائد هذا الاتجاه "**فيتجنشتاين**"[1] أنه من الضروري الكشف عن منطق اللغة الطبيعية؛ اللغة العادية التي تستعمل في الحياة اليومية ، غير «أنّ التي يريدها ينبغي أن تكون بسيطة بسيطة منزوعة الأقنعة الفلسفية والعلمية، وكان يريد لغة بسيطة بساطة الحياة اليومية، وهي تحقق التواصل بين مستعمليها »[2]. ومن ههنا راح يكشف عن جوانب الاتصال اللغوي بمراعاة مقتضيات الاستعمال اللغوي الحي بين ركني العملية الاتصالية.

وقد طور هذا الطرح فيما بعد فلاسفة أكسفورد الذين تبنوا أفكار "**فيتجنشتاين**" ومنهم على الخصوص "**أوستين**"**Austin وسيرل**Searle ، وما نلاحظه على هذا الاتجاه أنه استطاع رواده أن يقدم فلسفة تحليلية للغة تهتم بالمضامين والمقاصد في العملية الاتّصالية؛ إذ قدّم **أوستين**"**Austin** أفكارا قيمة ضمن هذا الأساس، وبالخصوص مسلمة القصدية" التي توسّع في دراستها ضمن شبكة من المفاهيم المترابطة منها على وجه الخصوص:

- مبدأ التعاقد Principe de contact
- مبدأ الفضاء المزدوج لتمظهرات فعل اللغة Double espace de la mise en scène l'acte de langage
- مبدأ الاستراتيجية Principe de la stratégie
- الصريح والضمنيExplicite et inplicite
- نمط تنظيم الخطابMode d'organisation
- نمط النصوصType de texte

وانطلاقا من عرض الاتجاهات المتفرعة عن الفلسفة التحليلية نلاحظ أنّ مباحثها لا تعتبر كلها تداولية؛ بل ما له علاقة وطيدة بذلك هو الاتجاه الذي لم يقص اللغة الطبيعية، فاهتم باللغة في استعمالاتها العادية كاشفا عن القدرات والمضامين والأبعاد التي تقتضيها العملية التواصلية. ويمكن أن نوضح موقع التداولية من الاتجاهات الثلاثة في المخطط التالي:

1 ولد فيتجنشتاين في فيينا عام 1889م في أسرة يهودية واسعة الثراء والثقافة، تخصص في هندسة الطيران، ثم درس الرياضيات والفلسفة والمنطق على يد:فريجه، وراسل" توفي سنة1951بكمبيردج. من أشهر مشاريعه العلمية السعي إلى اللغة المثالية التي يكون بوسعها وصف الواقع المادي وصفا دقيقا. ينظر د.نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة ص183.

2 د مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي ص49.

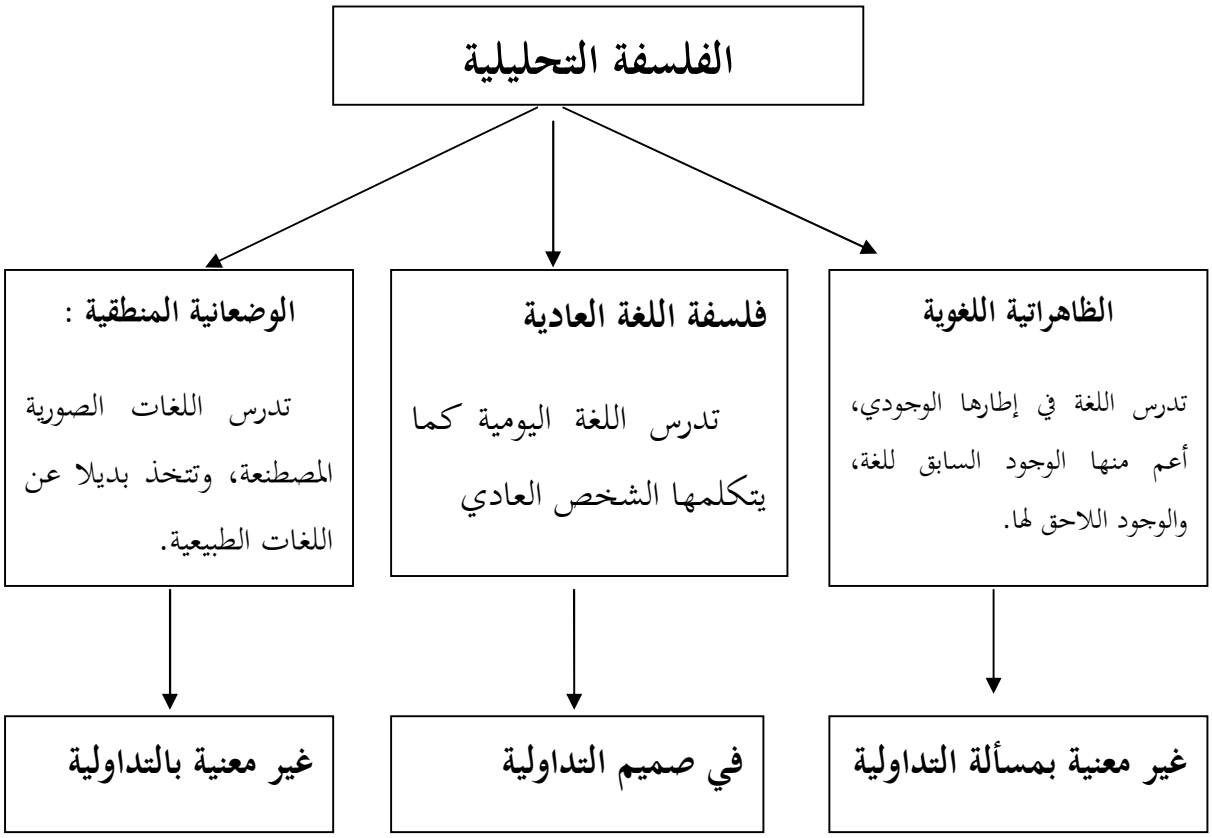

5- الظواهر اللغوية التي درستها الفلسفة التحليلية:

قبل الكشف عن أهم الظواهر اللغوية التي درستها الفلسفة التحليلية بودنا أن نشير أولا إلى التحول العميق الذي مسّ الدراسات الفلسفية؛ إذ اتّخذت في العصر الحديث "اللغة" السبيل والموضوع الأساسي لتقديم الإجابات عن الأسئلة التي يطرحها هذا الحقل المعرفي، ومن هنا نلاحظ أنه لا يمكننا الوقوف على كل الظواهر التي طرحت في ظل هذا التحول، بل سنقف على أهم المباحث التي غذت الدرس التداولي، ونذكر منها ما يلي:

أ- **الفعل المتضمن في القول:** وهو الجزء الأهم والأساسي من بنية الفعل الكلامي؛ ويعني التصرف الإرادي الذي ينجزه بالكلام، إنه الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر والنهي والاستفهام والتعزية والتهنئة والوعد وغيرها من المضامين والدلالات التي يتضمنها أي فعل كلامي.

ب- **الإحالة**: ويراد بها الوظيفة اللغوية التي بواسطتها تحيل العلامة اللغوية على أي شيء في العالم الخارجي ، وقد تبين لفلاسفة التحليل كما للسانيين أن كل علامة لغوية تؤطرها ثلاثة مكونات؛ الدال، المدلول والمرجع.

ج- **الاقتضاء**: والاقتضاء له صلة بالإحالة ، والمقصود به«أن صدق جملة ما متضمنة لاسم علم يقتضي أن تكون لهذا العَلَم إحالة»[1]. قد يكون ذلك مع الجملة المثبتة أو المنفية.

د- الصورة اللغوية والصورة المنطقية للجملة.

هـ- الافتراض المسبق.

و- الاستلزام الحواري.

1 أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص17.

المحاضرة الثانية: مفاهيم عامة في التداولية

إن اللّسانيات التداولية اتجاه لغوي ظهر وازدهر على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر؛ يهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، ولعل هذا ما جعله أكثر دقة وضبطا، حيث يدرس اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخَاطبين.

وتعنى اللّسانيات التّداولية في سبيل دراستها للّغة، بأقطاب العملية التواصلية؛ فتهتمّ بالمتكلّم ومقاصده، بعدِّه مُحرِّكا لعملية التواصل. وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضمانا لتحقيق التواصل من جهة، ولتستغلّها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

فالتداولية إذن علم تواصلي جديد، يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، وممّا ساعدها على ذلك أنّها مجال رحب يستمدّ معارفه من مشارب مختلفة، فنجده يمتحُّ من علم الاجتماع وعلم النفس المعرفي، واللسانيات وعلم الاتصال والأنثروبولوجيا، والفلسفة التحليلية[1].

وبذلك فالتداولية تستند إلى كثير من مكاسب المعرفة الإنسانية المختلفة، ممّا أكسبها طابع التّوسع والثراء في مُعالجاتها المختلفة للغة؛ وجعلها تتّخذ لنفسها مكانة مهمة بين البحوث، بعدما كانت تعدّ سلة مهملات للسانيات.

1- تعريف التداولية: إن تقديم تعريف للتّداولية، يُلِمُّ بجميع جوانبها، ويشملها أمر من الصعوبة بمكان، ذلك أنها مبحث لساني، ونظرية لم يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجدها تتقاذفها مصادر معرفية عديدة[2]؛ إذ لكل مبدأ من مبادئ التداولية مصدر انبثق منه[3]، كما أنّها تتداخل

1 ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة, عالم الكتب الحديث, جدارا للكتاب العالمي، الأردن, ط1, 2009, ص 160.ص163, ومسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب, دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت, ط1, 2005, ص17, وص26, ومحمود أحمد نحلة, آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, (د ط), 2002, ص 10, 11.

2 ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية, مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم, بيت الحكمة للنشر والتوزيع, العلمة, الجزائر, ط 1, 2009, ص 63.

3 فنجد نظرية أفعال الكلام انبثقت من تيار"الفلسفة التحليلية", ونجد "نظرية المحادثة" نابعة من فلسفة "بول غرايس" PAUL GRICE, كما أنّ نظرية الملاءمة ولدت من رحم علم النفس المعرفي...,(ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 17.

مع كثير من العلوم الأخرى، مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصُّصه، ولذلك سنكتفي بإيراد أهم ما جاء في تعريفها فقط.

أ – **المفهوم اللغوي**: يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول)، وله معان مختلفة، لكنها لا تخرج عن معاني التّحول والتّبدل، فقد ورد في معجم أساس البلاغة **الزمخشري**(ت 538هـ): «دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام، بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه...وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد...والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما»[1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور:«تداولنا الأمر، أخذناه بالدّول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة»[2].

فالملاحظ على معاجم العربية أنّها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر"دول" على معاني: التّحول والتّبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى، ممّا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحوّل والتّغير والتّبدل والتّناقل «وتلك حال اللغة متحوّلة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذّارئعية, النفعية, السّياقية»[3].

مفهوم مصطلح التداولية:Pragmatique "[4]: شهدت الدراسات اللسانية تحولات جذرية في الحقل المفاهيمي، فبينما اهتم اللسانيون بالبنى اللغوية من حيث التركيب والدلالة، ظهر مصطلح جديد يحيل إلى رؤية خاصة للغة، إنّه مصطلح "**التداولية**"، يقول "طه عبد الرحمن":«وقد وقع اختيارنا منذ

1 أساس البلاغة: تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1998، ج 1، ص 303.

2 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد11، ط 3، 1994، ص 252،253.

3 خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 148.

4 ظهر مصطلح Pragmatique من الأصل اليوناني Pragma الذي يعني العمل actionومنه اشتقت الصفة اليونانية Pragmatikos الذي يحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل... ابتداءً من القرن السابع عشر ميلادي انتقل الاستعمال إلى الميدان العلمي فصارت Pragmatique تعني كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار عَمَلية» ينظر: الطاهر لوصيف :التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد17جانفي 2006، ص6.

1970على مصطلح "التداوليات"[1] مقابلا للمصطلح "براغماتيقا"،لأنّه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين"الاستعمال"و"التفاعل"معا»[2] ، ويحيل هذا المصطلح إلى كل ما هو مادي ومحسوس مطابق للحقيقة، غير أنّ هذا المصطلحPragmatique مازال يشوبه بعض الغموض، لذا ينبغي توضيحه أكثر لتبيين مجالاته.

ولعل هذا الثبوت لمصطلح التداولية هو الذي جعل الباحث المغربي "طه عبد الرحمان" يستحدث مفهوم" المجال التداولي"في ترجمته لمصطلح pragmatique، يقول في توصيفه للفعل" تداول":« تداول النّاس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم ومن المعروف أيضا أنّ مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة ، فيقال: " نقل الكلام عن قائليه" بمعنى رواه عنه، ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها...فالنّقل والدّوران يدلاّن في استخدامهما اللغوي على معنى التّواصل وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين...، فيكون التّداول جامعا بين اثنين هما: التّواصل والتّفاعل فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل»[3].

يخلص الباحث إلى كون مجال التّداول يحمل معنى التّواصل بين المخاطبين والتّفاعل فيما بينهم، ومقتضاه أن يكون القول المتلفظ به موصولا بفعل إجرائي، وهذه المدلولات اللغوية للفعل تداول وارتباطه المباشر بالممارسة التراثية، هو ما جعل الباحثين يتلقّونه بالقبول حينما وضع الباحث "**طه عبد الرحمان**" "التّداوليات" مقابلا للمصطلح الأجنبي "pragmatique" سنة 1970[4]

وهناك ترجمات أخرى لمصطلح مثل البراغماتية والنفعية والذرائعية، و«يعود أصل تسمية" البراغماتية"– أو الذرائعية الجديدة–إلى منظري السيمياء مثل تشارلز موريس، وتشالرلس ساندرز بيرس، وجون ديوي على وجه الخصوص. وتختلف دلالتها حسب الحقل الذي نبعت منه:كالفلسفة واللسانيات،

1 مصطلح تداوليات– الذي أطلقه طه عبد الرحمن– إلى مصطلح شامل لذا احترنا مصطلح التداولية لربطه بالمجال اللساني فقط. لأنّ هناك "تداوليات متعددة: تداولية البلاغيين الجدد...تداولية اللسانيين، وتداولية المناطقة والفلاسفة"، حفناوي بعلي: التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، العدد17، جانفي 2006، ص50.

2 طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية2000،ص28.

3 تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2، ص244.

4 يقول طه عبد الرحمان: «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين: الاستعمال والتّفاعل معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»، طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2000، ص27.

والاتصال...»[1]. فالذرائعية أقرب إلى المصطلح الأدبي منه إلى اللغوي، مع الانتباه إلى عدم الخلط بين التداولية والمذهب البراغماتي Pragmatisme هو المذهب الفلسفي الذي يحبّذ على كل ما له أهمية للبشر، ويتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة.

استعمل مصطلح pragmatique في اللاتينيةpragmaticus وفي الإغريقيةpragmaticos بمعنى "عملي" وقد ارتبط توظيفه في العصر الحديث في بداية ظهوره بالفلسفة الأمريكية "البراغماتية". لكن في اللغة العربية يجب أن نفرق بين مصطلح "التداولية" والذي نقصد به هذا الاتجاه اللغوي الجديد الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي، ويقابله المصطلح الفرنسيpragmatique " والبراغماتية أو ما يترجم بالذرائعية " أو النفعية أو غيرها كمذهب فلسفي تجريبي عملي؛ تجاوز المذهب العقلاني وطور الاتجاه التجريبي ، لا تقوم على معاني عقلية ثابتة أو تصورات قبلية، تربتط بالواقع التجريبي ، تحاول أن تفسر الفكرة ليس بمقتضياتها العقلية أو الحسية؛ بل بتتبّع واقتفاء أثر نتائجها "العملية"، ويقابلها مصطلح pragmatisme ومن روادها"ويليام جيمس وجون ديوي" وشيلر وغيرهم.

يقول عبد الملك مرتاض: : « وقد اصطُنع في العربية النقدية المعاصرة على أنّه "تداولية " في حين أنّا نشك في أنه كذلك بهذه الصّفة التي ورد عليها، في أصل الاستعمال الغربي، لأن صيغة هذا الاستعمال (pragmatics،pragmatique) لا تدل على وجود ياء النزعة المعرفية (علمية أو فلسفية أو أدبية) والتي يطلق عليها النحاة العرب بغير إقناع "الياء الصناعية" فالأجانب يصطنعون صيغة أخرى لما يقابل هذه الياء أو اللاحقة الثنائية على الأصح "يه" (Pragmatisme / pragmatism) فكيف نترجم نحن العرب مفهومين اثنين في أصلهما بصيغة عربية واحدة ؟ ... ولذلك نقترح أن نطلق على مقابل المفهوم الأول "التداول" (أي تداول اللغة) ...، وعلى المفهوم الآخر المنصرف إلى النزعة المذهبية : "التداولية" وذلك حتى نُطوّع العربية» [2].

ونتيجة لتعدد منطلقاتها واختلافها في الدراسة التداولية حدث نوع من التداخل بين حقولها وحقول أخرى، أدّى إلى تنوّع التسميات، وبالخصوص في ترجمتها في اللغة العربية ، ومنه نلاحظ أن مصطلح "التداولية" قد ارتبط باتجاهين مختلفين:

1 حفناوي بعلي: التداولية...البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد17جانفي 2006، ص59.

2 تداولية اللغة بين الدلالية والسّياق، مجلة اللسانيات ، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد10، 2005، ص66. 67

الأول: يهتم بالجانب الاستعمالي للغة في السياقات المختلفة فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية من أجل الكشف عن الوظيفة العملية للغة.

الثاني: منطلقه فلسفي، يحاول بحث القضايا المعرفية من خلال آثارها العملية.

انتقل البحث اللساني من الدراسة التي تخلص للنظام اللساني"langue"- من"**دي سوسير**"Saussure إلى"**تشومسكي**"Chomsky-إلى دراسة لسانية تركز على التوجه الاتصالي والوظيفي بالبحث في الكلامParole والاستعمال اللغوي؛ فـ«الجوانب التداولية للغة تتعلق بخصائص استعمالها للحوافز النفسية للمتكلمين، ردود فعل المخاطبين، النوع المجتمعي للخطاب، موضوع الخطاب...الخ بالمقابل للجانب النحوي الخواص الشكلية للأبنية اللسانية والدلالية والعلاقة بين الكيانات اللسانية والعالم»[1].

فإذا كان علم التراكيب يهتم بعلاقة الأدلة فيما بينها أي العلاقات الداخلية بين الألفاظ، وكان علم الدلالة يعالج علاقة الأدلة بالواقع أو علاقة الألفاظ بالعالم الخارجي؛ فإنّ مصطلح التداولية تعددت تعريفاته وإن كانت جميعها تصب في دراسة اللغة في الاستعمال.

وأقدم تعريف للتداولية جاء به "**تشارلز موريس**" C. Mouris " سنة 1938 وهي في نظره «تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها»[2] ،غير أنّه تعريف يشتمل اللسانيات والسيميائيات على حد السواء، كما أنّه يتجاوز المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.

أما "**جاك موشلار**Jaque Moeschler و**آن ربول**Anne Reboul فقد ربطا مفهوم التداولية بالمجال اللساني، ففي القاموس الموسوعي للتداولية تُعرّف بأنّها «دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي يعد من اهتمام اللسانيات بصفة خاصة»[3]؛ فإن كانت الدراسات السابقة قد قسمت اللغة إلى لسان وكلام Langue et Parole واهتمت بدراسة اللسان لتوخي العلمية والموضوعية، فأقصت بذلك الكلام من دراستها لكونه فرديا ويصعب التحكم في آلياته، فإنّ التداولية

1Jean Dubois et des autres, Dictionnaire de linguistique, Libraire Larousse, Parie1973, p.388

2 فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي،1986،ص 8.

3Jaque Moeschler- Anne Reboul: Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition Seuil 1994, P.17.

اهتمت بدراسة الكلام أو الاستعمال اللغوي، غير أنّ «عملية توجيه التحليل نحو الكلام ليس مجرد دراسة لـ"الكلام" بالمصطلح السوسيري، ولكنها في الحقيقة دراسة للغة في كليتها بما فيها الكلام»[1]، فهي دراسة تشمل اللغة من مختلف جوانبها؛ أي دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية أي تداولها عمليا.

يقول "فردناند هالين" محاولا ضبط مفهوم التداولية: "لنضع مقابلة (سوسير) بين اللسان والكلام موضع السؤال، ولنرفض اعتبار التداولية أن ليس في وسعها أن تكون موضوع دراسة منظمة. تهدف التداولية إلى بلورة نظرية لأفعال الكلام، أي نماذج مجردة، أو مقولات تصدق على السلوكات الملموسة والشخصية التي ننجزها ونحن نتكلم"[(2)].

يربط "**منقونو**"Maigueneau الدراسة التداولية بالسياق؛ فهو يرى أنّ «المكون التداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها»[3] حيث تسعى التداولية إلى تحديد قصد المتكلم من خلال سياق محدد .

ومن خلال تحديد السياق يمكن استخراج متضمنات القول، فالتداولية تدرس «الطريقة التي يستخرج بها المخاطب مقترحات ضمنية من خلال ما يقال له داخل سياق مفرد، وخاصة عندما تكون العبارة مخصصة لإطلاق استدلال ما...»[4]حيث يحاول"**منقونو**" Maigueneau" بهذا التعريف إبراز البعد التداولي للمعنى الضمني L'implicite من خلال دراسة العلاقة بين المعنى والسياق.

وهناك تعريف لساني آخر لـ "**ماري دييرMarie Diller**" و"**فرانسوا ريكاناتي**" François Récanati فقد اقترحا تعريفا آخر وهو أنّ التداولية هي «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية»[5] ذلك أنّ التداولية تحاول الكشف عن المقدرة الإبلاغية التي تحققها العبارة اللغوية، وتدرس بذلك دلالة اللغة في الاستعمال، فإذا أردنا أن نحلل هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا الحد فإننا نسجل النقاط الآتية:

- التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال.

1 فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007ص55-56.

2 فردناند هالين: التداولية، ترجمة وبّا محمد، مجلة الفكر والنقد، العدد 24، السنة الثالثة، ديسمبر 1999، ص 155.

3 دومينيك منقونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة:محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى2005-2006، ص98.

4 Dominique Maigueneau: Aborder la linguistique, Édition du Seuil collections Mémo, paris P.29

5 فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش ص.8.

- تسعى التداولية إلى الكشف في المقدرة الإبلاغية التي تحققها العبارة اللغوية.
- التداولية بحث في الدلالات التي تفيدها اللغة في الاستعمال.

وهذا ما يجمعه تعريف "**فرانسيس جاك**" F. Jacques الذي يرى أنّ «التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً»[1].

ولعل محاولة الوقوف على تعريف موحد للتّداولية، يعدّ من الصعوبة بمكان نظرا لتنوع خلفياتها الفكرية والثقافية، فتعدّدت التعريفات بحسب تخصّصات أصحابها ومجالات اهتماماتهم، ومن أبرزها ما قدّمه "فرانسيس جاك" francis jaques، « تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا»[2]. فالتداولية تتجاوز الدّراسة البنوية (السكونية) للّغة إلى دراستها في سياق استعمالها، ومراعاة كل ما يحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلّمين، ولذلك عرّفها الباحث "الجيلالي دلاش" بكونها« تخصّص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يُعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»[3] ثم يردف كلامه بإجمال تعريف التداولية، في قوله: «هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية»[4].لأنها في إطار عنايتها بدراسة اللغة أثناء الاستعمال تهتمّ بعناصر التّخاطب و التّحاور فتُراعي قصد المتكلم ونواياه، وحال السامع وظروفه، وتبحث في شروط نجاعة الرسالة، وسلامة الحوار بين المخاطبين وكل ما يحيط بهم، فالتّداولية إذن تُعنى بكل ما يتّصل بالعمل التّخاطبي بحثا عن المعنى، وضمانا للتّواصل.

ويجعلها الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمان، بعدِّه أوّل من أدخلها إلى الثقافة العربية، تختصّ بوصف كل« ما كان مظهرا من مظاهر التّواصل والتّفاعل بين صانعي التراث من عامّة النّاس وخاصّتهم...،فالمقصود "بمجال التداول" في التجربة التراثية، هو إذن محلّ التّواصل والتّفاعل بين صانعي التراث[5].

تسعى التداولية إلى دراسة الاستعمال اللغوي في الاتصال اللساني وفق معطيات سياقية واجتماعية معينة، وتكمن أهميتها في كونها تهتم «بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال والتعرف على القدرات الإنسانية

1 فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش ، ص8.

2 نفسه ص12.

3 مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،الجزائر، 1992، ص1.

4 المرجع نفسه.

5 طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص244.

للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثمّ جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي»[1] ، كما أنّها تبحث في «كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم»[2] ومن هنا فإنّ مفهوم التداولية يتعدى حدود البنية اللغوية؛ لتبحث في الأقوال والعلاقة بين المتخاطبين في سياق محدد، فتدرس العناصر الذاتية في الخطاب كالضمائر والمبهمات الزمانية والمكانية كما تدرس التلميح والتصريح وكذلك القوانين التي تضبط الخطاب والحجاج، وتحاول التداولية إعطاء تفسيرات دقيقة حول كيفيات إنتاج القول وتفسير مقاصده وغاياته.

والتداولية عند أوستينAustin جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي ، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر ؛ هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر.[3]فالتداولية تدرس الاتّصال اللغوي في إطاره الاجتماعي، بالكشف عن الشروط والمعطيات التي تسهم في إنتاج الفعل اللغوي من جهة ، كما تبحث في فاعليته وآثاره العملية من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار يقول صلاح فضل:" فالتداولية إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة الملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به؛ أي العلاقة بين النص والسياق"[4].

1 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2005،ص15.

2 أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية 2002. ص12.

[3] فرانسواز ارمينيكو، المفاربة التداولية، تر : سعيد علوش، ص8.

[4] بلاغة الخطاب وعلم النصص24-25.

المحاضرة الثالثة:المرجعية المعرفية للسانيات التداولية.

نشأة التداولية: يعود الفضل في استحداث مصطلح التّداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس" ch.s.peirse(1839/1914) حينما نشر مقالتين في مجلة "ميتافيزقيا"، سنة 1978 و1979 بعنوان "كيف يمكن تثبت الاعتقاد؟ ومنطلق العلم:كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ حيث أكد على أن الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أن الممارسة والتّطبيق والفعل، هي التي تشكّل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار[1].

ويرجع أول استعمال لمصطلح التّداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس charles) wiliam mouris) سنة 1938، حيث قدم لها تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات، وذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التّخصصات التي تعالج اللغة(التركيب والدلالة والتداولية)، ليصل إلى أنّ« التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[2].وهو تعريف يتجاوز المجال اللساني ليشمل غيره من المجالات غير اللسانية (المجال السيميائي).

تُشكِّل التداولية درسا جديدا وغزيرا لم يمتلك بعد حدودا واضحة، انبثق من التّفكير الفلسفي في اللّغة بيد أنّه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليله، وبخاصّة التّداولية اللّسانية موضوع حديثنا.

إنّ اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد "سقراط"، ثم تبعه"أرسطو" والرواقيون من بعده، بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلاّ على يد "باركلي"، تغذّيها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع[3].

فالتّداولية اللّسانية اتجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن حلّ لعديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات ولم تهتم بها نحو (الفونولوجيا، التركيب، الدلالة)» ولذلك يعترف كارناب karnab، أنّ التداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله: إنّها قاعدة اللسانيات»[4]. كما أنّ

1 ينظر: الزاوي بغورة: العلامة والرّمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، مارس 2007، العدد 3، المجلد 35، ص199

2 فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة:سعيد علوش، ، ص12. وينظر: جاك موشلار، آن روبول: التداولية اليوم، ص29.

3 ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص163.

4 عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص2

اللّسانيات التّداولية تشكّل محاولة جادّة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والبحث العلمي بعامة، وعجزت اللّسانيات عن الإجابة عنها، متوسّلة في سبيل ذلك عديدا من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضّبط حين نتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيئا آخر غير الذي كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نَركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟ .

ومن العلوم التي غذت الدراسات التداولية ما يلي:

أ – **الفلسفة التحليلية**: هي مذهب فلسفي جديد، استطاع رواده أن يتجاوزوا بمنهجهم المستحدث في معالجة القضايا العالقة في الفلسفة ، متجاوزين الفلسفة التقليدية بتحويل بؤرة الاهتمام إلى اللغة في حد ذاتها، فمن هذا المنهج انبثق أهم وأساس الحقل التداولي في الدراسات اللغوية وهو ما يُعرف بـ"الأفعال الكلامية.

ب–**الفلسفة البراغماتية**:وهي اتجاه تجريبي عملي يعتمد على الواقع الخارجي ، ويهتم به كما يتبدى في خبراتنا الحسية، فالفيلسوف البراغماتي يتجه إلى دراسة ما هو متعيّن وحقيقي، لا يفرض الكشف عن حقائق معيّنة، او تحقيق نتائج معينة ثابتة، ومن أجل اتّباع طريقة تساعد على تحقيق الأفكار والمعاني في الواقع الخارجي فهي تسعى لمعرفة ما هو زائف وما هو حقيقي من المعاني، بالاعتماد على معيار الصدق" الذي يُتوصّل إليه من تحليل المعاني والمعتقدات.

ومعنى "الصدق" عند البراجماتيين مرتبط بالنجاح العملي، أو ما يترجم إلى سلوك ناجح يقول جيمس":" إن الأفكار تصبح صادقة بقدر ما تساعدنا على أن نربطها بأجزاء من خبرتنا بطريقة تؤدي إلى سلوك ناجح في الحياة، ويضيف إنه ينبغي عليك إن تستخرج من كل لفظ قيمته الفورية الفعلية ، وأن تضعه موضع العمل في نطاق مجرى خبرتك؛ بحيث تكون قيمة الفكرة مرتبطة بنجاح السلوك الذي يؤديه الإنسان بناءً على اعتقاده في صحتها"[1]، وهذا الطرح يعدّ من أهم الطروحات التي استفادت منها التداولية.

ج–**علم النفس المعرفي**": هذا العلم الذي تجاوز البحث في الأمراض الذهنية؛ إذ أضحى يعنى بالطريقة التي يشتغل وفقها الذهن البشري. وفي هذا الإطار قُدّمت بحوث متنوعة لتفسير ذلك أفادت منها التداولية في "نظرية الملاءمة" وفي تفسير العمليات الاستدلالية في إدراك أبعاد الفعل اللغوي. ومن ذلك التفسير

[1] صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص.ص24.

الذي قدمه "جيري فودور"Jerry Fodor إذ بيّن أنّ اشتغال الذهن البشري اشتغال تراتبي، وتجري فيه معالجة المعلومة الإخبارية مهما كان مصدرها (مرئي أو سمعي، أو لغوي...) عبر مراحل متلاحقة؛ وكل مرحلة منها تقابل مكونا من مكونات الذهن ، وهي المحولة والنظام الطرفي والنظام المركزي".[1] والكل يتم في إطار "منظومة" مختصة بمعالجة المعطيات. ومن هذا التوضيح أفادت التداولية؛ إذ تندرج بوضوح ضمن النظام المركزي الذي يعمل على إتمام التأويل الذي يتم على مستوى النظام اللغوي الصرف، وتحقق هذه المهمة من خلال مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى .

د– نظرية المحادثة: أفادت التداولية من فلسفة بول غرايس Paul Grice والتي تتجلى بوضوح في أشهر مقال له:"منطق المحادثة"(1975) فقد أدخل فيه مفهومين مهمين يعدان من أهم المفاهيم التي تهتم بها اللسانيات التداولية، وهما الاستلزام الحواري و"مبدأ التعاون" ويقدم ضمن هذا المقال مفهوما متطورا للدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، كما يصوغ مقاربة لإنتاج الجمل وتأويلها ومنه "يمكن التمييز بين الجملة والقول؛ فالجملة هي سلسلة من الكلمات الت يمكن لزيد أو عمرو أو صالح التلفظ بها في ملابسات مختلفة، ولا تتغير هذه الملابسات، أما القول فهو حاصل التلفظ بجملة ، وهو يتغيّر بتغير الملابسات والقائلين. فإذا قال زيد"ابني البكر يحتل المرتبة الأولى في صفه" وهو يتحدث عن ابنه محمد يوم 1/جوان/حزيران 1947، وإذا قال عمرو"ابني البكر يحتل المرتبة الأولى في صفه" وهو يتحدث عن ابنه الهادي يوم30ديسمبر/كانون الأول1956، وإذا قال صالح:"ابني البكر يحتل المرتبة الأولى في صفه وهو يتحدث عن ابنه المنذر يوم 15أوت/آب1997 فإن كلا من زيد وعمرو وصالح قد تلفظوا بنفس الجملة لكنهم أنتجوا ثلاثة أقوال مختلفة"[2] .لكن الدلالة التواضعية المتعلقة بالجملة الملفوظ بها ظلت قارة، وهذا التمييز بين الجملة والقول يعد من أبرز المفاهيم التي ركزت عليها اللسانيات التداولية.

هـ– المنطق: المفاهيم الجديدة للمنطق التي تجاوزت دلالات المنطق الصوري المتوارثة؛ لأنه لم يتمكن من تفسير بعض الظواهر التي تطرحها العلوم الإنسانية والعوم الاجتماعية بشكل عام والبنية الحجاجية بوجه خاص.بالإضافة إلى مفاهيم وأفكار أخرى ظلت يفيد منها الاتجاه التداولي في معالجة وإثراء القضايا اللغوية، فهذا الأمر هو الذي جعل صلاح فضل يذكر أنه ذو طبيعة غير تخصصية تغذيه جملة من العلوم"[3].

[1] آن ربول جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد للتواصل، تر، سعد الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، ص73.

[2] المرجع السابق ص55.

[3] بلاغة الخطاب وعلم النص ص24.

المحاضرة الرابعة: الدرجات الثلاث للتداولية:

تتسم المباحث التداولية بسمة الثراء الشديد لذلك قامت فرانسواز أرمنغو F.Armengaud بعرض أهم المقاربات التداولية على برنامج هنسن Hansson الذي أسس تداولية ذات درجات ثلاث.

الدرجات الثلاث للتداولية:

حاول هنسن Hansson التوحيد بين مختلف أجزاء التداولية من خلال هذه الدرجات التي تحدّد فكرة المرور التدريجي من مستوى إلى آخر.

ترتكز التداولية في تحليل الإنتاج اللغوي على السياق Contexte، وهو«مجمل الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والاستعمال اللساني... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعارف الشائعة بينهما على حد السواء»[1] ومظاهر السيّاق هذه يتم وضعها في الاعتبار بالنسبة إلى كل درجة ، كما أن السّياق يتعقد من درجة إلى أخرى.

ومعظم النظريات التي انبثقت عن التداولية تركز على السياق حيث «أضحى هذا التصوّر الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلة النظريات التداولية، وقد أفضى ذلك إلى ظهور ثلاثة تيارات مختلفة ومتداخلة في الوقت نفسه تشكل النسق العام لما يسمى بنظريات التداولية»[2] ، وهذه الدرجات هي:

1- تداولية الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشارية: وتتعلق بالعلامات الإشارية من مثل(أنا، هنا، الآن) التي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيتها في سياق الحديث، ولا تتحدد إحالات هذه الرموز إلا من خلال السياق الذي تُوظّف فيه وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان، فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تختلف إحالتها حسب ظروف استعمالها.

-2-تداولية الدرجة الثانية: المعنى الحرفي والمعنى التواصلي: وتدرس الدلالة الضمنية للقول بتجاوز المعنى الحرفي، وفي هذا المستوى يتم توسيع مفهوم السياق«من سياق الموضعة وكشف الإحالات والمنفذين إلى السياق المتعارف عليه عند المخاطبين ك"حدس" وكما في سياق الموضعة يقع التدخل لرفع

1 Jean Dubois et des autres: Dictionnaire de linguistique, p.120.

2 عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2003. ص12.

الإبهامات في الجمل كذلك، حتى وهي لا تشتمل على إشاريات وتعبّر عن قضايا مختلفة بحسب السياق»[1] فقد يكون معنى الجملة مبهما بالرغم من عدم احتوائها على إشاريات.

تسعى تداولية الدرجة الثانية إلى معرفة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي، والنظريات التي تتناول هذا النمط بالدراسة هي «نظرية قوانين الخطاب وأحكام أو مسلمات المحادثة –حسب التسمية– وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج، أمّا السياق في هذا النمط؛ فهو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون»[2]. وللكشف عن مقصدية العبارة اللغوية ينبغي تجاوز المعنى الحرفي والبحث عمّا يتضمنه القول من معنى غير مباشر.

–3–تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الأفعال الكلامية.وتشتمل الدراسات التي تضم نظريات الأفعال الكلامية و« تنطلق من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية»[3]. وتختلف هذه الأبعاد حسب الأغراض التي تتحقق من الإنجاز اللغوي Performative، يتعلق الأمر بمعرفة ما يتم إنجازه عبر استعمال اللغة في وضعية تواصلية معينة.

ويُعتَبر "**أوستين**"Austin من أوائل المؤسسين لنظرية أفعال الكلام، وكان ذلك بفضل مجموعة من الأعمال من أهمها: "تطبيقية نظرية الأفعال اللغوية على الخطاب الأدبي عند **ويليام جيمس**"؛ فقد قدم تمييزات دقيقة لأفعال الكلام.

وقد طوّر هذه التصنيفات أكثر تلميذه "**سيرل**"Searle، ومن خلال الدرجات الثلاثة للتداولية نجد أنّ هذه النظريات – في الحقيقة – متداخلة ومترابطة فيما بينها.

ومن خلال ما سبق تتّضح لنا أهمية التداولية، فهي مشروع شاسع يهتّم بالخطاب والتواصل بشكل عام يضم: المحادثة والإنجاز والتضمين والحجاج ... نستشف أن التداولية تنطوي على قدر كبير ومتعدد من المحاور والآليات، وهناك الكثير من النظريات التي اكتنفتها التداولية وتبنتها بالسير وفقها في تعاملها مع اللغة كالنظرية الحجاجية théorie de l’argumentation، والنظرية التلفظية théorie de l’énonciation، ونظرية الملاءمة..الخ

1 فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص51.

2 عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص13.

3 نفسه، ص13.

المحاضرة الخامسة: نظرية الأفعال الكلامية: Les actes de langage

قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسّعه "أوستين"Austin "في المحاضرات الإثنا عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد" Harvard سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه "How to do think with words"، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى "Quand dire, c'est faire"[1]. "عندما نقول نفعل" إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين على دراسة استعمالات اللغة، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، واستأنفت بعد ذلك من طرف "**سيرل**" "Searle".

1- تصنيف أوستين"Austin للأفعال الكلامية:

ترتكز نظرية "**أوستين**"Austin على فكرة الإنجازية، والتي مفادها أن بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولكنها تؤدي أفعالا(مثل الوعد، التحذير...) ويحكم عليها بمعيار الفشل أو النجاح في الإنجاز. قام **أوستين**" Austinبالتمييز بين العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازية(الوصفية) فوجد أنّ «قول شيء ما على وجه مخصوص هو إنجازه، من أمثلة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات أعتذر، إني متأسف...أما العبارات الإنجازية:أدعم رأيي، أتنبأ، أتوقع...وشرط العبارات الإنجازية هو ملاءمتها للواقع(الإنجاز الحقيقي)»[2] فالوعود مثلا تتضمن التزاما معينا من جانب المتكلم ينجزه عند قوله(أعد بذلك) هو في الواقع (يعد) أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما يقوله،

يرى بول ريكور أنه " قد يُدمَج الفعل بقطب الواقعة في جدل الواقعة والمعنى، لكن هذا الفعل أيضا يتبع قواعد دلالية تعرضها بنية الجملة، إذ يجب أن يعبَّر عن الفعل بصيغة ضمير المتكلم"[3]، والأفعال الكلامية سواء أكانت أوامر أو رغبات أو أسئلة أو تحذيرات أو إثباتات، فضلا عن قولها شيئا ما، تنجز شيئا، وتترتب عليها آثار من خلال القول.

1voire Patrick charaudeau. Dominique Maingueneuv. Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, VIème, P 16.

2 ينظر أوستين:نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991 ص 100.

3بول ريكور :نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2006/2 ص41.

والجمل الوصفية لا يقصد بها أن تخبر عن أمر أو تبلغ معرفة عن حدث واقع و«يكمن القصد من الكلام في تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته، مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي والتأثير في مواقفه»[1]، لكن أوستين لاحظ أنّ تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف هي:

– ***فعل الكلام(فعل القول***Acte locutoire): هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات التي لها نفس المعنى و المرجع.

–***الفعل الإنجازي(قوة فعل الكلام، الفعل المتضمن في القول***Acte Illocutoire): وهو«فعل اتفاقي مبني على التواطؤ و المواضعة، إنه فعل مؤدى ومنجز طبقا للتواضع»[2] وهو الفعل الذي ننجزه بالقول (سؤال، أمر، تحذير، وعد...)

–***الفعل التأثيري(لازم فعل الكلام***Acte perlocutoire): و هو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي، وهو الدفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه،ف «عندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته»[3] كأن أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء... وقد يكون ذلك عن قصد ونية أو عن غير قصد، كما أن الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان معا الاتفاق.

يرى جورج مولينيه في كتابه الأسلوبية أنّ"الفعل الكلامي الذي يتسم بكونه أدبيا هو "تأثيريا"، أو لا يكون شيئا. فالأدبية هي إنجازية performativité مطلقة للغة إذ تتحول إلى وظيفة شعرية، أي أن الفعل الخلّاق لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء" [4] وهذا يحيل على علاقة التداولية بالأدبية من جهة وبالأسلوبية من جهة أخرى

ويقترح "**أوستين**" Austin خمسة أقسام للأفعال الكلامية:

[1] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة ، الجزائر، ط1، 2009 ص90.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ص155.

[3] نفسه، ص156.

4جورج مولينيه : الأسلوبية ترجمة: بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط2/ 1427هـ-2006م ص160

1 الحكميات Verdictifs: وتتمثل في الحكم نحو التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء، التوقع، التصنيف ، التشخيص، الوصف...

2- التنفيذيات *Exercitifs*: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، الاستقالة، التوسل...وتندرج التنفيذيات ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

***3*- الوعديات** Promissifs:وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف لأنّها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين مثل" الوعد، الموافقة، التعاقد، العزم، النية...

4- السلوكيات Comportatifs*:* والهدف منها هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير، مثل الشكر و الاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم و التحدي.

5-العرضيات:Expositis : وتسمى كذلك "التفسيريات" الهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة مثل التأكيد، النفي، الوصف، الإصلاح...[1]

ويمكن تلخيص تصنيف **أوستين**" Austin كما يلي «إنّ الفعل المتعلق بممارسة توكيد لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة، والفعل الإزامي هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف، والفعل التفسيري هو توضيح مبررات وحجج ومعلومات»[2].

يبدو تصنيف **"أوستين"** Austin مفتوحا ومرنا، لذلك حاول**"سيرل"** "Searle" بتطوير نظرية أفعال الكلام عند أوستين واقتراح معايير أخرى لتصنيف الأفعال الكلامية.

1 ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص62.

2 صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993، ص224.

المحاضرة السادسة: نظرية أفعال الكلام عند" *سيرل*" Searle"

تصنيف " *سيرل*" Searle" *للأفعال الكلامية*:

إن اختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل"**سيرل**" Searle" يعيد هذا التصنيف، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقا للأفعال من جهة أخرى، كما قد يختلف الهدف من الأمر، على أنّه جعل المستمع يفعل شيئا، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئا وهكذا، فالهدف الإنجازي من "الأمر" و"الطلب"هو ذاته، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك.

وقد ميّز "**سيرل**" " Searle"بين أربعة أقسام من الأفعال الكلامية: فمن خلال الأمثلة الآتية:

1- "جون" يفرط في التدخين.
2- هل يفرط "جون" في التدخين؟
3- عليك أن تفرط في التدخين يا "جون".
4- الجو لا يطاق بتدخين "جون" المفرط.

فإننا نقوم بأربعة أمور:عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم **بفعل التلفظ(الصوتي، التركيبي)** acte d'énonciation، والملاحظ أنّ هذه العبارات تشترك في **المحتوى القضوي** acte propositionnel(التدخين المفرط لـ"جون") لكن لكل عبارة منها **فعل إنجازي** acte illocutionnaire(الإخبار، السؤال، الأمر، التمني...) وكل عبارة تخلِّف نتائجَ معينة(**الفعل التأثيري** acte perlocutionnaire)[1].

كما فرق"**سيرل**" Searle" بين "الأفعال الكلامية المباشرة" و"الأفعال الكلامية غير المباشرة"، وصنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي:

1 Voir J. R. Searle, les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage, 1996, P.60-62

1-التأكيديات (التقريريات Assertifs*):*هدفها «هو تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأنّ شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما»[1]. وتهدف إلى جعل الكلمات تطابق العالم.

2- ***التوجيهيات*** Directifs: هدفها دفع المرسل إلى فعل شيءٍ ما، و يحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء[2]، وتسمى كذلك (الأوامر)، وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات.

3- ***الالتزاميات*** Commissifs*:* هدفها التزام المرسل بدرجات إنجاز فعل ما في المستقبل(التعهد) مبنية على شرط الإخلاص، وهنا يجب أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند "**أوستين**" .

4- ***التعبيريات*** Expressifs: والهدف منها هو «التعبير عن حالة سيكولوجية محدّدة»[3] وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النيّة والصدق في محتوى الخطاب، ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم و« بأداء الفعل المعبر لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات لتماثل العالم»[4]، والملاحظ أنّ التعبيريات توافق إجمالا السلوكيات في تصنيف "أوستين"Austin .

5-التصريحيات Déclarations*:* وتسمى كذلك الإدلاءات هدفها جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح...

ويمكن تلخيص تصنيف **سيرل** Searle"كما يلي: «لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياءً، ونلزم أنفسنا بفعل أشياءٍ، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد»[5] ، وإنّ قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر أو الوعود...أو غير ذلك.

1 ينظر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص123.

2 ينظر نفسه، ص123.

3 صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،ص234.

4 نفسه،ص234.

5 صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص237-238.

الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة:

قد يكون الخطاب مباشرا أو تلميحيا لذلك ميّز "**سيرل**"Searle" بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها؛ غاية القول، توجيهه، وحالته السيكولوجية...[1] وسماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة لـ"**غرايس**"Grice، ثم يرى أنّ الأفعال المباشرة هي:«التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب»[2]

أمّا بالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد «يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي؛ مثلما هو الشأن في التلميحيات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى...»[3] تمثل الاستعارة والأقوال المجازية فعلا كلاميا غير مباشر، ومن أجل تفسير الجملة الاستعارية ميّز "**سيرل**"Searle" بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذين المعنيين لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخرا، ولقد«حدّد "سيرل" مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة) ورأى أن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم.

1 ينظر فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص63.

2 الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص137.

3 فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، ص68

المحاضرة السابعة: متضمنات القول: Les implicites

كثيرا ما نقصد أكثر مما نقول، بمعنى أننا نضمّن في قولنا أمورا لا نذكرها بصريح العبارة، وهذا ما يدعى بـ"متضمنات القول"Les implicites، ويتعلق هذا المفهوم بـ«رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»[1]، وتتشكل متضمنات القول من نمطين وهما الافتراض المسبق Présupposition والقول المضمر Les sous-entendus فالمتخاطبون ينطلقون من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم؛ فالافتراض المسبق هو «الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة»[2].

يختلف تأويل كل قول حسب السياق الذي يرد فيه، والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها، لذلك فإنّ **"أوركيوني"** Orecchioni تعرف القول المضمر أو الضمني بأنّه« كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»[3] فالقول المضمر هو معنى خفي متضمن في القول يُفسّر ضمن السياق الذي وُجد فيه، وقد يكون مخالفا تماما للمعنى الحرفي.

ومتضمنات القول في الخطاب:«هي مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية تحكمها ظروف عامة كسياق الحال وغيره »[4]؛ بمعنى أنّ أيّ حديث أو حوار يدور بين شخصين أو أكثر، هناك جانب صريح وآخر ضِمني وهذا الأخير يُفهم من خلال حيثيات الكلام، فمثلا:"عندما يقول لك صديقك أشعر بخيرٍ اليوم أو أنّي في أفضل حال اليوم فأنت تلقائيًا تفهم أنّه لم يكن كذلك بالأمس" ولهذا المعنى الذي استنتجه جاء معنى ضمنيًا من خلال قوله ويمكننا أن نستخرج عدة معاني ضمنية أخرى من هذا المثال البسيط.

- ✓ أنّ هذا الصديق كان يشكو من مرض بالأمس.
- ✓ أنّه بإمكانه إنجاز أي عمل اليوم.

1 مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب ، ص30.

2 نفسه، ص31.

3 نفسه،ص32.

4 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص60.

إضافة إلى ذلك فإنّ أقوالنا وحواراتنا لا تتم دائما بالتصريح، فهناك معوقات تمنعنا من التصريح في أقوالنا دائمًا، «والتداوليون على اختلافهم يجمعون على أنّ الإخبار لا يتمّ بالتصريح فقط ويعود ذلك إلى وجود العديد من المحظورات التي تمنع المتكلّم من التصريح، وهذه المحظورات قد يكون مصدرها المجتمع، ممّا يحتويه من أخلاق وعادات و دين أو سياسة... وينعكس ذلك على اللّغة باعتبارها وليدة المجتمع ».[1]

فالمجتمع يلعب دورًا كبيرًا في عملية التواصل:«والكلام لا يعني تعويض كل فكرة بكلمة و إنّما يعني أنّ إنشاء الكلام يتمّ انطلاقًا من تجربة تواصل».[2] وهذا ما يجعلنا نُشير بالضرورة إلى العلاقات أو الشكل الذي يكون عليه التضمينات أو المضمرات في علاقة هي التضمين. و قد عرّفه "غرايس" بقوله: «أنّ بعض الأقوال التي تنأى عن شروط حقيقة للجملة يطلق عليها تضمينًا».[3]

أو بمعنى آخر تُسمّى هذه العلاقة أيضًا بالمعاني الضمنية، يمكن تحديدها من خلال طبيعة المحادثة أو الخطاب فكلّ المعاني المتطرّق إليها في الحوار هي مُسمّيات متعارف على مدلولاتها فـ«هناك معاني ضمنية متعارضة يحدّدها حسب قول "غرايس، Grice" بالمعنى المتعارف للكلمات المستعملة».[4]

المقصود أنّ كل الأحاديث المتداولة تخوض في معاني مُتعارف عليها أو تَعارف عليها أبناء المجتمع الواحد فمثلا عندما تقول كلمة "مكتب" فالمتلقي أيضًا يعرف هذه الكلمة، وهذا الشكل كل المعنى يحيل إلى معنى والناتج يكون معاني ضمنية والعلاقة الثالثة فهي تضمينيًا صرفيًا أو معجميًا وهذه العلاقة «تستند إلى اللّغة أو المعجم أي إلى الدلالات الصرفية المرتبطة بالكلمات».[5] معناه أنّ لكلّ جملة حوارية عدّة دلالات منها ما هو منطقي وحقيقي ومنها ما هو خاطئ وغير معقول، وهذا مرتبط بطبيعة الحال المتكلم، فتأويل الكلام يكون على أساس الناطق به.

ومثال ذلك يخطأ أحدهم وبدلاً من أن يقول: "محمد زميلي وليس صديقي". يقول: "محمد زميلي ولكنّه صديقي". فالسامع يُؤَوِّل الحديث على أساس ما سمعه.

و يكون للمعنى الضمني احتمالات دلالية عديدة كالتالي:

1 – عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003،ص 111.

2 – عبد السلام عشير: عندما نتواصل نتغير (مقاربة تداولية معرفية آليات التواصل و الحِجَاج)، إفريقيا شرق، المغرب، ص 46.

3 – عبد السلام عشير،المرجع نفسه، ص 52.

4 – جورج براون "G-Bourwan"، جورج يول "George- Youl": تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطي و منير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م، ص 96.

5 – فرانسوا أرمينكو : المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الأنماط القومي، بيروت، ص 61.

- ✓ أنّ المتكلم يقصد أنّ محمدًا زميل أولاً ثم صديق.
- ✓ أو أنّ الزمالة تعني له شيئًا و الصداقة شيئًا آخر.
- ✓ أو أنّه يقصد أنّه ليس كل زميل صديقًا.

والمعنى الثالث هو المعنى الصحيح بالنسبة للسامع، وعليه فالسياق هو وحده مَن يجعل أيّ مِن هذه التضمينات أصّح.

ومصطلح متضمنات القول يرتبط بمفهومين هما: الافتراض المسبّق والأقوال المُضمرة.

أ- الافتراض المسبّق: وهو من أبرز مفاهيم التداولية وهي بدورها لها أنماط تعتمد عليها. والنمط الرئيس فيها هو الافتراض المُسبق، ويُعدّ هذا الأخير ذا أهمية في كل تواصل لساني يعتمد على معطيات وافتراضات مُعترف بها وذلك لتحقيق النجاح في عملة التواصل. فقد عرّفه الكثير من الدارسون منهم "ديكرو، Ducrot": «على أنّه العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى الاستفهام هل ؟ أو نفي لا».[1]

ومثال على ذلك: توقف عمر عن الدراسة.

وإذا ما حوّلناها إلى صيغة "الاستفهام" هل توقف عمر عن الدراسة ؟. و النفي: لم يتوقف عمر عن الدراسة.

نستنتج من هذه التغيرات الثلاثة أنّ "عمر كان يدرس" هذا يعدّ افتراضًا مسبقًا، فقد تمكنّا من معرفة حال عمر من خلال الصيغ التي قدّمها المتكلم.

ترى "أوركيوني": «أنّ المعلومات و إن لم يفصح عنها (غير مصرّح بها) فإنّها و بطريقة آلية واردة ومُدرجة في القول الذي يتضمنّها أصلاً بغضّ النظر عن خصوصية في إطار الحديث الذي يتجلّى فيه».[2]

1 - عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 113.
2 - المرجع نفسه، ص 114.

ومعنى هذا أنّ ما يدور بين المتكلّم و المتلّقي من خطابات أي أنّ السامع يكون قد سبق له ما يَنوي أو ما يُريد أن يقوله المتكلّم حتى قبل أن يَقوله أو يُشير إليه فالافتراضات المسبّقة «لا يُصرّح بها المتكلمون وهي تشكّل خلفية التبليغ الضرورية».[1]

والعملية التي يَقصدها تقوم بين المتكلّم والمتلّقي هي معطيات وافتراضات التي تُمثل أرضية التخاطب وخلفية التواصل لإنجاح عملية التواصل أو رسالة التخاطب.

فإذا خاطب المتكلّم المتلّقي و وجّه له أمرًا على أساس ما يفترضه سلفًا أي أنّ له خبر من قَبل ومثال ذلك:

الملفوظ 01 = أغلق النافذة.

الملفوظ 02 = لا تغلق النافذة.

«ففي الملفوظين كلاهما خلفية افتراض المسبق مضمونها أنّ النافذة مفتوحة و كلّ هذا موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلّم بالمخاطب».[2]

وعلى دارس الافتراض المُسبق: «أن يُميّز بين الاستعمال العام للفظ الافتراضي في لغة الحياة اليومية والاستعمال الاصطلاحي في الدرس التداولي أُضيف مدى من الاستعمال العام».[3]

ويرى التداوليون أنّ الافتراض المسبق له أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليمية "didactique" تمّ الاعتراف بدور الافتراض المسبق منذ زمن طويل «لا يمكن تعليم الطفل معلومات جديدة إلا بافتراض وجود أساس يتمّ الانطلاق منه و البناء علي»[4] فإنّ الافتراض المسبق تتضّح أهميته وما يؤديه من وظيفة لنجاح كل تواصل كلامي.

يرى الباحثون منذ وقت مبكر ضرورة التَميّز بين نوعين من الافتراض السابق المنطقي والتداولي؛ **فالافتراض المنطقي** مشروع بالصدق بين قضيتين، فإذا كانت "أ" صادقة كان من اللازم أن تكون "ب" صادقة.

1 – الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون – الجزائر، 1992،ص34

2 – محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر، ط1، 2002م، ص 26.

3 – المرجع نفسه، ص 27.

4 – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، ص 32.

أما **الافتراض التداولي** السابق فلا دخل له بالصدق أو الكذب فالقضية الأساسية يمكن أن تُنفى دون أن تُؤثر في الافتراض السابق. فإذا قلت مثلاً "سيارتي جديدة". ثمّ قلت "سيارتي ليست جديدة" فعلى الرغم من التناقض في القولين فالافتراض السابق و هو أنّ لك سيارة لا زالت قائمةً في الحالتين.[1]

ب/ الأقوال المضمرة: تعتبر الأقوال المضمرة نمطا من أنماط متضمنات القول، بحيث ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدَّد على أساس معطيات لغوية.

فالقول المضمر لا يتحقّق في الواقع إلا وفق خصوصيات سياق الحديث ومثال ذلك قول أحدهم –إنّ السماء ممطرة– وربما من خلال هذا السياق يحاول المتكلم:

- ❖ الإشارة إلى الإسراع حتى لا يفوته موعد العمل.
- ❖ أو لابدّ له من المكوث بالبيت.
- ❖ أو أنّه يشير إلى حَمْل المظلّة معه....

وقائمة التأويلات كثيرة وإذا حاولنا المقارنة بين متضمِّنين «فإنّ الافتراض المسبق وليد السياق الكلامي والثاني ملابسات الخطاب»[2]، أي أنّ هذا النوع أو النمط يكون خاصًا بالمتكلم، فهو على علاقة بأقواله ويُستنتج من خلال الخطاب ومغزى المتكلم منه إذ يعني كل المعلومات المصاحبة للقول.

تقول "أوركيوني":«هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن السياق».[3]

ومثال ذلك عندما تقول لصديقك: تحرّ الصدق. إمّا أنّك تحاول أن تشير إلى أنّك لا تحب الكذب.
أو أنّك تريد الدّقة في الخبر.
أو أنّك تكره صيغة الكذب فيه.

1 – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص27.
2 – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، ص 32.
3 – عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 115.

فالقول المضمر عبارة عن استنتاج «بما أنّ مُحلّل الخطاب شأنه في ذلك شأن المخاطب لا يملك طريقة مباشرة للوصول إلى المعنى المقصود من طرف المتكلم عند تلفظه بالقول، فهو في الغالب يحتاج إلى عملية الاستنتاج تُمكّنه من الوصول إلى فهم المقولات»[1].

وللقول المضمر ميزتان هما:

أولا أنّه غير مستقر أي أنّه يصعب تحديده

ثانيا أنّ المتكلم يمكنه أن يتخفى وراء المعنى الحقيقي الذي يريده هروبا من ردة فعل المتلقي إذا كان قد انزعج إلى معنى آخر.[2]

وهذا كما في المثال السابق فإنّك عندما تقول لصديقك " تحرّ الصدق" ربما قد ينزعج منك لاعتقاده بأنّك تصفه بالكذاب عندها قد تضطر الاختفاء وراء المعنى الأخر فتقول له لم أقصد هذا وإنما قصدت التأكد من صحة الخبر.

وهناك مفهوم قريب من القول المضمر وهو التلميح "allusion": «هو الاستدانة غير الحرفية المستترة، ويُمكِن للتلميح أن يُرسل أيضًا إلى نص سابق دون أن يؤدّي إلى التنافر كما هو الحال في الاقتباس، ويكون التلميح، أحيانا، دلاليًا، صرفًا دون أن يكون تناصا بالمعنى الحرفي للكلمة، و تلك حالة التلميح الجنسي في عبارة "لا يفكر إلا بهذا"، و يُرسل التلميح أحيانا إلى كوكبة نصوص، بدل الإشارة إلى نص محدد»[3]. فالتلميح هو القول الخفي المضمر في الخطاب.

سَعَت أوركيوني إلى التَمييز بين القول المضمر والافتراض المسبق، فرأت أنّ الافتراض المسبق يتعلّق مباشرةً بالبُنى التركيبة العامة على عكس القول المضمر الذي يتم استنتاجه انطلاقا من الملكة البلاغية التداولية – الموسوعة والمنطقية– وكذا المتكلم[4] فهي تشير إلى طبيعة كل منهما كالافتراض المسبق يمكن أن يحدّد في نفس الكلام ويعتبر التوتر الشائع بين المتكلمين على غرار القول المضمر الذي ترى فيه مسؤولية المتلقي.

1 – جورج براون (g. bourwan) و جورج يول (gorge. youl)، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطي و منير التركي، ص 32.

2 – ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص118.

3– تيفين ساميول: التناص ذاكرة الأدب، ترجمة نجيب غزاوي، منشورات الكتاب العربي، دمشق، 2007م، ص32.

4 – عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 116.

المحاضرة الثامنة:نظرية الاستلزام الحواري.

تُعنى التداولية بدراسة اللغة في استعمالها وكيفية إنتاج الخطاب، والخطاب هو إنجاز الأفعال الكلامية في الأساس بتحديد الإشاريات والتعبير عن المقاصد وتحقيق الأهداف، وليس الخطاب مجرد نطق بألفاظ مرتبةٍ، وإنما هو تركيب لغوي مؤسس على قوانين وضوابط يؤلفه المتكلم ويتوجه به إلى الغير، من هنا تتضح حقيقة الخطاب هذه العلاقة التخاطبية القائمة على التبليغ في إطارها تنتظم الألفاظ والتراكيب لإجراء العملية التواصلية، وهذه العلاقة خاضعة لقوانين اللغة من جهة ولقوانين الخطاب من جهة ثانية.

وعملية الإبلاغ يزدوج فيها التصريح والتلميح –الإظهار والإضمار– هذا ما أسهم في إدخال مفهوم "التضمين" لتفسير دلالة الجملة المضمرة، وتظل العملية التواصلية مرتبطة بقوانين مضبوطة، قواعد لغوية وأخرى غير لغوية تواصلية، استطاع غرايس أن يدرسها بحكم تحادثية هي قوانين تنظم الخطاب، فما طبيعة هذه القوانين؟ وكيف يتم الوصول إلى المعنى المستلزم وضبط ذلك المعنى الذي تخرج إليه صيغة معينة من الصيغ الجملية كالاستفهام والأمر والنداء والنهي؟

والواقع أن سيرلsearle هو الآخر أدلى بدلوه في هذا السياق عندما اقترح تصنيفا للأفعال الكلامية: أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة، وانطلاقا من هذا التصنيف اقترح "نسقا من القواعد الاستدلالية لوصف قدرة المخاطب على استنتاج وإدراك الفعل غير المباشر المنجز في مقام معين أو طبقة مقامية معينة"[1].

الخطاب هو الكلام المقصود الذي يهدف إلى تبليغ فكرة معينة فهو "محادثة ذات طبيعة رسمية، أو المصطلح الرسمي المنظم للأفكار سواء أكان مكتوبا أم مقروءاً"[2] ، ومن المسلمات البديهية في الخطاب مسلمة الحوارية:" أن لا كلام مفيد إلا بين اثنين لكن منهما مقامان مقام المتكلم ومقام المستمع "[3] وقد تكون هناك علاقة بين المرسل والمرسل إليه أولا تكون موجودة سلفا فيسعى المرسل إلى إيجادها.

1 أحمد المتوكل: الاستلزام التخاطبي، بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة(مقال) ضمن كتاب حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن 2011، ط1 ،ص296.

2 عصام خلف كامل: مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، دار فرحة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1، 2000، ص07.

3 Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, éditios Seuil octobre1994 , P.202

إنّ نوع العلاقة بين المتكلم والمخاطب من العناصر المؤثرة في الخطاب، فقد يتوقف الخطاب على ما يعرفه المتكلم على الآخر وما يشتركان في معرفته عن السياق، وتشترك في هذا كله افتراضات المسبقة للمتخاطبيْن.

الاستلزام الحواري:l'implication conversationnelle يعد بول غرايس Grice واضع مفهوم الاستلزام الحواري حيث «يدور أشهر مقالات "غرايس Grice"* و هو المقال المنشور سنة 1975م، على ما يُسميه صاحبه (منطق المحادثة). ويُسجّل هذا المقال تطورًا في مفهوم الدلالة غير الطبيعية ويصوغ مقاربة لإنتاج الجمل و تأويلها غير تواضعية حصرًا. و قد أدخل فيه "غرايس" مفهومين مهمين هما: **الاستلزام** الخطابي**. و مبدأ التعاون. بمعنى أنّ "غرايس" ركّز على مبدأ التعاون الذي اعتبره ركيزة مُهمّة في قيام الحوار».[1]

والمحادثة من أبرز أشكال الخطاب وأدّلها على طبيعة الاتصال التي تتسّم بالتفاعل و تعدّد الأطراف وعلى قول بعضهم المشروع تعاوني ولكن إمّا القواعد التي تَضبط المحادثة ؟ و كيف تُلفت انتباه الآخرين؟ وكيف تُثير موضوعًا ؟ وكيف تُنهيه ؟ و كيف تتحاشى بعض الموضوعات ؟ كل هذه الأسئلة تمثل جزءًا من القدرة اللّغوية عند كلّ إنسان في لغته.[2] والغرض من القواعد هو معرفة مقصدية المتكلم ومدى إدراك السامع لكلامه وهذه القواعد (قواعد المحادثة) تضبط التواصل فيما بينهم.

1/ مفهوم الاستلزام:يعبّر المرسل بالمفهوم بدلاً من اقتصاره على التعبير عن قصده بالمنطوق. «و الأُصوليون يُفرّقون بين منطوق الجملة ومفهومها، ومنطوقها وهو ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة من السامع لهذه الجملة، ومفهومهاما تستعمل له هذه العبارة بطريقة غير مباشرة»،[3] كما يرى الأصوليون أنّ مفهوم المخالفة ومفهوم الموافقة يفيد تمامًا ما يقصده "غرايس، Grice" بالاستلزام في أثناء الحوار الذي يدور بين طرفي الخطاب فهو نتيجة لما يدور بينهما ولا يمنع أن يعبّر المرسل عن قصده بالمفهوم إليه بعد التصريح ابتداءً دون اللجوء كما في الكتابة والاستعارة والتعريض: «والواقع أنّ مفهوم **الاستلزام الحواري**

* غرايس، Grice (1913- 1982م): فيلسوف إنجليزي ينتمي إلى أصحاب الفلسفة التحليلية بأكسفورد، و من مؤسّسي نظرية أحكام المحادثة و ما أنجز من مفاهيم كالافتراضات المسبقة و الأقوال المضمرة، و من أعماله (logic and conversation).

** الاستلزام الخطابي: يُقصد به الاستلزام الحواري و أيضًا الاستلزام المحادثي.

1- آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2003م، ص 54.

2 - العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها)، دار الأمان منشورات الاختلاف، ط1، 1432هـ/2011م، ص 97-98.

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 429.

مفهوم شائك ولا يتسّم بالوضوح الذي يتسّم به مفهوم **الاستلزام المنطقي**، وكما سوف يتضّح، فإنّ الغموض الذي يشوب هذا المفهوم هو الذي يُمكّن من توظيفه في تحقيق وظائف مشبوهة، كالتظليل والإبهام».[1]

كما ميّز "غرايس، Grice" بين المعنى الدلالي والمعنى التداولي للجملة، **فالمعنى الدلالي** هو المعنى المعجمي مضاف إليه العلاقات النحوية واصطلح على تسميته بالفعل اللّغوي المباشر، و**المعنى التداولي** هو المعنى الذي يستلزمه الحوار بين متكلم ومستمع، ولهذا المعنى قوة إنجازية الذي هو فعل أدائي ينجز أثناء النطق به، أي أنّ المتكلّم عندما يتلفظ بقول ما فهو يُنجز فعلا صريحًا أو ضمنيًا.[2]

لاحظ "غرايس، Grice" أنّه يتم الانتقال من القوة الإنجازية المباشرة إلى القوة الإنجازية غير المباشرة من خلال شرحه لمبدأ التعاون واستند في مفهومه هذا على أسس تداوليه للخطاب وأنّه لا يتمّ تأويل العبارات في اللّغات الطبيعي إلا من خلال الاقتراحات التي وضعها:

- معنى الجملة المتلفظ، من قبل المتكلّم في علاقته بالمجتمع.
- المقام الذي تُنجز فيه الجملة.
- مبدأ التعاون "principe de coopération".

وعلى الإجمال يبقى **الاستلزام الحواري** من أبرز الظواهر التي تُميز اللغات الطبيعية على اعتبار أنّه في الكثير من الأحيان يلاحظ أثناء عملية التخاطب، أن معنى العديد من الجمل إذا رُوعي ارتباطها بمقامات إنجازها، لا ينحصر فيما تدل عليها صيغها الصورية.[3]

الاستلزام الحواري من حيث كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب يقدم تفسيرًا صريحًا لقدرة المتكلّم على أن يعني أكثر ممّا يقول الفعل أي أكثر ممّا تؤديه العبارات المستعملة مثل "ناولني الكتاب من فضلك" المنجزة في مقام محدّد يخرج من معناها من الطلب (الأمر)[4] إلى معنى الالتماس و هو ما تفيده القرينة :من فضلك.

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 430.

2 – نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث اربد، ط1، 2009م، ص 187.

3 – العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 17.

4 – المرجع نفسه، ص 18.

* الاستلزام النموذجي: يقصد به أيضًا العرفي و الاصطلاحي.

2/- أنواع الاستلزام:

2-1/ الاستلزام النموذجي*:يتفق "غرايس، Grice" مع ما يُسمِّيه "السكاكي" بإجراء المعنى على الأصل، و ذلك باستعماله في سياقات عامة يتعذر على المرسل إليه الانتقال إلى قصد غير القصد الأصلي الذي يتطابق فيه معنى الخطاب مع قصد المرسل و هو ما يُسميه "قاخوري" بالاقتضاء: «لأنّ الاقتضاء مفهوم منطقي بينما الاستلزام مفهوم لساني تداولي، ذلك أن الاقتضاء يمتاز بكونه لا يتغيّر بتغيّر ظروف استعمال العبارة فهو ملازم لها في جميع الحالات و الأحوال، أمّا **الاستلزام** فإنّه يُغيّر ظروف إنتاج العبارة اللّغوية»[1]. ويتضحّ استثمار المرسل له في إفهام المرسل إليه قصده في الخطاب التالي: الفاكهة الطبيعية هي السرّ في طعم العصير.

إذ يقتضي هذا أنّ العصير مكوّن من الفاكهة الطبيعية و هو القصد الرئيسي للمرسل.

2-2/ الاستلزام الحواري:كان "غرايس، Grice" يفكر و يبحث للإجابة عن سؤاله: «كيف أن يقول المتكلّم شيئًا و يعني شيئًا آخر ؟ و كيف للمخاطب أن يسمع و يفهم شيئًا آخر ؟».[2] و **الاستلزام** هو الذي ينتج عن خرق القواعد إذ يكون ذلك في سياق خاص يحتاج فيه كل طرفي الخطاب إلى معلومات إضافية، و بهذا فإنّه يكون أكثر تعقيدًا في الاستدلال لمعرفة قصد المرسل، فمعظم التلفظات التي تستغل الحكم تندرج تحت الاقتضاء الخاص فهو تلفّظت الأم مع ولدها الذي أرسلته من السوق بالخطاب التالي: لماذا عدت ؟ باعتبار الأم تستنكر على ابنها العودة لتتحوّل دلالة خطابها من السؤال إلى الإنكار عليه فلا يُرجّح الدلاليتين إلى معرفة السياق.[3]

ثانيًا: قواعد المحادثة عند "بول غرايس".يشكّل مبدأ التعاون عند "غرايس، Grice" العمود الفقري للنشاط الكلامي، إذ أنّه يُمكّن المتخاطبين من ضمان عدم انقطاع التواصل، لذلك فإنّ كل طرف من الخطاب يعترف لنفسه وللآخر بالحق في التناوب على الكلام.[4] ومفاده أنّ على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتُحصّل المطلوب، بمعنى أنّه يُوجِب أن يتعاون المتكلّم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخل فيه.

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 431

2 – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفية الجامعية، مصر، ط1، 2002، ص 13.

3 – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 438.

4 – عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي (في ضوء النظرية التداولية)، منشورات الاختلاف، ط1، 2003، ص 101.

لاحظ "**بول غرايس**" Grice أنّ الجملة قد تخرج عن معناها الحرفي إلى معنى استلزامي؛ حيث يرى أنّ بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الكلمات فكل قول يثير جزئيا أقوالا أخرى يضمها، لذلك تعد فكرة متضمنات القول فكرة مركزية في مبدأ الحوار، لأنّها تجعل المتخاطبين يتبعون بعض القواعد الاستلزامية أثناء التواصل. حدد بول غرايس مبدأ التعاون وأربعة مبادئ للحوار(الكم، وكيف والمناسبة والجهة) ورأى أنّه إن تم خرق أحد هذه المبادئ يحدث الاستلزام الحواري وقد درسه سيرل من خلال الأفعال الكلامية غير المباشرة.

لا تقف مبادئ الحوار عند حدود الضوابط اللغوية؛ بل تتعداها لتشمل المعطيات غير اللغوية، تجعل المتكلم يتحكم في لغته واختيار ما يتلاءم مع السياق ويحتكم إلى المتلقي في فهم مقاصد المتكلمين والهدف الرئيس لهذه القواعد هو تمكين المتكلم من صياغة كلامه أو أن يرغب في إخراجها أكثر إقناعا وأحسن تأدية، وجعل المتلقي يدرك قصد المتكلم، وهذه القواعد مستمدة من المجتمع وأخلاقياته.

منطق المحادثة: افتتحت النظرية الغرايسية أسلوبا جديدا كليا في النظرية التداولية ومشكلة التواصل، فقد أدرج غرايس فكرة الاستلزام الحواري كمساهمة مبدئية في مركز هذه النظرية هذه الفكرة " تسمح بشرح الاختلاف والتباين المتكرر بين مدلول الجملة والمعنى التواصلي بالتلفظ"[1]

اقترح غرايس مبدأً عاما في مركز التواصل هو مبدأ التعاون يستمد أطروحته من القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تفرض نفسها على جماعة لغوية لتنظيم النشاط الكلامي، ورأى أنّ المتخاطبين يُفترض أن يحترموا هذا المبدأ بطريقة عقلانية ومتعاونة في إنتاج الكلام وتأويله.

لاحظ غرايس أن بعض الملفوظات التي نتواصل بها أكثر من الكلمات التي تركب الجملة لتدل عليها كلها. هذا الجزء من مدلول الملفوظات التي تلغي حقيقة الجملة اصطلح عليها غرايس بالاستلزام الحواري حيث تطلق الاستلزامات عبر تعبير لساني أي بمبدأ عام يدرك من التواصل أو من التضمينات."[2]

مثال: يسأل "أ" – "ب" : كيف مرّ عملك الجديد مع "س" في البنك؟

"ب": آه، أظن أنه ليس سيئا، إنّه جيد مع زملائه، ولم يوضع بعد في السجن.

1 Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatiqueP.202

2 voire, ibib. p.202.

فمن معارف "ب" الخلفية ومدلول بعض الكلمات يتضح لـ"أ" أنّ "س" ليس نزيها في عمله، هذه الجملة إذن تتضمن استلزاما حواريا خاصا.

في الواقع الأمر أكثر تعقيدا لأنّ غرايس اقترح الفرق بين مجموع الاستلزامات الحوارية التي تجمع في تعبير لساني، هي التي لا تطلق إلا من طرف العلاقة بين التلفظ والسياق اصطلح غرايس على تسميتها الاستلزامات الحوارية العامة التي تطلق من شكل لساني ففي مثال "سأدخل منزلاً" يضمر المتكلم أنّ المنزل الذي سيدخله لا علاقة مقربة معه، بخلاف الجملتين (سأدخل المنزل) و(سأدخل منزلي).

للتمييز بين الاستلزامات العرفية الاصطلاحية والاستلزامات الحوارية اقترح غرايس بعض المعايير: فإذا كانت الاستلزامات الحوارية ملغاة ولا يمكن فصلها ويجمع معنى العبارة التي تطلق من شكلها حسابية وغير محددة، فإن الاستلزامات العرفية ليست ملغاة ويمكن فصلها، وليست حسابية ومحددة والاستلزام العرفي يُطلق وفق المنهجية التي تجرى على الإلمام بمبدأ التعاون وقوانين الخطاب.[1]

لكن كيف تتم عملية الاستلزام –الخروج من المعنى الظاهر بصيغة الجملة إلى معنى آخر –؟ وكيف يكون تأويل الجملة التي تحمل تلميحا.؟

يقترح غرايس أن توصف ظاهرة الاستلزام الحواري "انطلاقا من مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه باعتبار أنّ مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربع مع احترام المبدأ العام، مبدأ التعاون"[2].

1/مبدأ التعاون والاستلزام الحواري:تتجسد فكرة غرايس في أن مساهمة المتكلمين تتحكم في المبادلة الخطابية بمبدأ عام يتقبل ضمنيا من طرف المستمعين ويسميه مبدأ التعاون وهذه الفكرة عند غرايس جاءت لجعل المتكلم المساهم في المبادلة الكلامية يمتلك وظيفة امتداد الحديث ويمسك إدارته.

شكّل غرايس هذا المبدأ بالطريقة الآتية: أن يجعل المتكلم مساهمته في الحديث في الفترة اللازمة التي تجري فيها المبادلة الفعلية، حيث يقول "أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بهما للتبادل الخطابي

1 voire, ibib. p.206.207.

2 أحمد المتوكل: الاستلزام التخاطبي، بين البلاغة العربية والتداوليات، ص295.

الذي تقع ضمنه"[1] أو كما قال طه عبد الرحمن أنّ صيغة "مبدأ التعاون" هي «ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه»[2].

ويسهم هذا المبدأ في تسهيل التفاهم وتحقيق التأثير وإنجاز الفعل، ويجب على المتكلم «أن يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدّعي لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا؛ بل إنّه يسخر في ذلك ما يعين في التبليغ بالإشارة والملامح...ليجد من المخاطب نفسه متعاونا متمثلا في الإصغاء ومحاولة الفهم»[3].

من هنا يؤدي مبدأ التعاون إلى التواصل التفاعلي بين المتخاطبين عن طريق اللغة ويقتضي هذا الفعل "عمليتين متوازيتين: الإنتاج والتأويل، يحيل الإنتاج إلى التلفظ الذي يرتبط بالمتكلم بالدرجة الأولى، في حين يتطلب التأويل من المتلقي الاستناد إلى عدة وسائل لسانية وغير لسانية"[4]

تتحدد فكرة التعاون بأربع حكم للحديث أو كما يسميها مسعود صحراوي مسلّمات غرايس[5] ويمكن إظهارها بأربع أنماط عادية:الكم(كمية المعلومات)، النوع(الصدق)، العلاقة(الملاءمة)، والطريقة (الكيف):[6]

حكمة الكم: اجعل مساهمتك إخبارية بالقدر الذي يقتضيه التواصل، لا تجعلها إخبارية أكثر مما هو مطلوب.

حكمة النوعية(الصدق): اجعل مساهمتك صادقة. أو لا تقل ما تظنه كذبا ولا تقل ما ليس لك عليه حجة؛ حيث"يفترض نزاهة القائل الذي ينبغي عليه ألا يكذب وأن يملك الحجج الكافية في إثبات ما يثبته"[7]

---

1 ج.ب براون و.ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، دار النشر والمطابع، الرياض، 1997، ص 40. .

2 طه عبد الرحمن: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 2000.ص103.

3 نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف الجزائر، ط1، 2009، ص30-31.

4 ذهبية حمو الحاج: قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، مجلة الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو، دار الأمل ،العدد الثاني، ماي 2007، ص222.

5مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء والعرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص: ص 34/33.

Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatiqueP.207 4

7 آن ربول جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط1 ، ص55.

حكمة العلاقة(الملاءمة) تكلم في صلب القضية ، كن دقيقا، تكلم في الوقت المناسب.

حكمة الطريقة(الكيف) الإفصاح والإيجاز، كن واضحا – تجنب التعبير الغامض المبهم-اختصر كلامك (تجنب أي إطالة غير مفيدة)- اجعل كلامك منظما ومرتبا.

نفهم من هذا أن تصور غرايس للتواصل تصور مثالي ومعياري في إجراء السلوكات الفعلية للمتكلمين التي تنقل في الغالب خرقا لمبادئه، فالغرض الأساس من هذه الحكم التحادثية " هو تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات بين أطراف المحاورة، أي تحقيق تواصل مثالي وشفاف ويتجاوز مجالها التبادل الكلامي إلى مختلف المعاملات الأخرى كتقديم المساعدة"[1].

استعمال مبادئ الحوار: استثمار مبدأ التعاون رهن فائدة المتكلم. فقد لاحظ "**بول غرايس**" أنّ الجملة قد تخرج عن معناها الحرفي إلى معنى استلزامي؛ حيث يرى أنّ«بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الكلمات... فكل قول يثير جزئيا أقوالا أخرى يضمها أو يخلقها بوعي أو بدونه داخل نظام دائري، حيث الكل متماسك»[2]، لذلك تعد فكرة متضمنات القول فكرة مركزية في مبدأ الحوار، لأنّها تجعل المتخاطبين يتبعون بعض القواعد الاستلزامية أثناء التواصل.

خرق حكمة الكم : إذ يوجد حالة خرق أو مخالفة حكمة من حكم الحديث من أجل عدم خرق حكمة أخرى ، ومثال ذلك:

أ: أين يسكن س؟

ب: في منطقة ما من الجنوب الجزائري.

في هذ المثال يفترض أن (ب) ليس له الحجة، يمكن افتراض أنّ(أ)و(ب) يحضران لرحلة إلى الجزائر، ويريدان زيارة "س" إجابة (ب) ليست تقريرية خالفت حكمة الكمية وهذه الرؤية تُنتِج الاستلزام الحواري:بأنّ (ب) لا يعرف بدقة أين يسكن "س"، وهذا ما جعل المخاطب يخرق حكمة الكمية من أجل عدم خرق حكمة النوعية (الصدق)، كما أن الحشو من مخالفات حكمة الكمية مثال:(الرجل هو الرجل) و(الرجال كلهم متساوون أنانيون...مغرورون.. غير مسؤوليين..إلخ) هذين الجملتين لهما المعنى نفسه ولهما شروط الصدق نفسها ومخالفة لقانون الكم.

1 حسن بدوح " المحاورة مقاربة تداولية عالم الكتب الحديث إربد الأردن ، ط1، 2012، ص162.

2 عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب 2006، ص47.

خرق حكمة النوعية: أعطى غرايس أكبر عدد من الأمثلة لخرق حكمة الصدق وهي الأمثلة التي تطلق ملفوظا خطأً حرفيا تخص كل ما كنّا نسميه تقليديا الصور البلاغية أو المجازات اللفظية مثل السخرية والاستعارة..[1].

قد يسعى المتكلم إلى تبليغ سامعه بأمر ما على نحو غير مباشر وهو على دراية بأنّ سامعَه قادرٌ على الوصول إلى قصده، لذلك ميّز "**سيرل**"Searle" بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها؛ غاية القول، توجيهه، وحالته السيكولوجية...[2] وسماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة لـ"**غرايس**"Grice يرى أنّ الأفعال المباشرة هي:«التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده الخطاب بنص »[3] أمّا بالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد «يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي؛ مثلما هو الشأن في التلميحيات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى...»[4]

تمثل الاستعارة والأقوال المجازية فعلا كلاميا غير مباشر، ومن أجل تفسير الجملة الاستعارية ميّز "**سيرل**"Searle" بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذين المعنيين لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخرا، ولقد«حدّد "سيرل" مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة) ورأى أن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم»[5].

هناك تشابه بين ما ذكره سيرل والسكاكي(ت626هـ) الذي ينطلق من أن العبارة يمكن أن تفيد ما وضعت له (الحقيقة) كما يمكن أن تفيد غير ما وضعت له (المجاز/الكناية)، والعلاقة بينهما هي علاقة لازم بملزوم أو ملزوم بلازم.[6]

لعل المثال النموذج الذي يفسر تصور السكاكي لتحديد المعنى يتمثل في:كثير رماد القدر

1 voire, Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique p203-204

2 ينظر فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي،1986ص63.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص137.

4 فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، ، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007.ص68

5 أحمد حسن صبره، سعد سليمان حمودة: التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية، دار المعرفة الجامعية،ط2، 2002، ص58.

6ينظر أبو يعقوب بن يوسف بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم تح: عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1420هـ-2000ص523.

فواضح أن المعنى الحرفي لهذه العبارة ليس هو المقصود بل إن معناها هو: رجل كريم

ولتفسير كيفية الانتقال من: كثير رماد القدر إلى: رجل كريم، يقول"أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بواسطة لوازم متسلسلة، مثل أن تقول: كثير الرماد"، فتنتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر، ومن كثرة الجمر إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومن كثرة إحراق الحطب إلى كثرة الطبائخ، ومن كثرة الطبائخ إلى كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان، ومن كثرة الضيفان إلى أنه مضياف"[1].

يعتمد السكاكي سلسلة من الاستدلالات (الملزومات) حيث نلاحظ أن الانتقال من دلالة الوضع (المعنى الحقيقي/الحرفي) إلى دلالة الملزوم (بالعقل/المعنى المستلزم) يتم بواسطة استدلالات ذات طبيعة غير لغوية، فهي تتم بواسطة الخلفية الثقافية الاجتماعية، ويقوم على التمييز بين صنفين من المعنى، المعنى الحقيقي والمعنى اللازم أو ما يسمونه بالمعنى ومعنى المعنى.

خرق حكمة العلاقة: إذا افترضنا أن العلاقة ملائمة بين(ب)وطلب(أ)

أ: سينقضي البنزين.

ب: هناك مستودع في منعطف الطريق.

إذا افترضنا أن (ب) يحترم مبدأ التعاون وقوانينه، يمكن لـ(أ) أن يستنتج بأن "ب" يعطيه المعلومة الملائمة بالنظر إلى العلاقة مع ما قاله (أ) الذي يضمر في جملته: هل يمكنك أن توجهني أين أجد البنزين؟

إذ يمكن القول بأن (ب)أضمر بأن: المستودع مفتوح وستجد البنزين.

مثال آخر (أ)و (ب) يتكلمان عن (ج)

(أ)أعلم أن (ج) شيخ أبله.[عندما كان صديقه(د) وراءه]

فحاول (ب) تغيير الموضوع : أين ستقضي العطلة الصيفية؟

أضمر (ب) شيئا مثلا: تكلم في شيء آخر من فضلك.

خرق حكمة الكيفية:الطلب هو أفضل مثال لاستعمال حكمة الكيفية ...

مثال (أ) و(ب) يتكلمان أمام أطفالهما:

أ: ما رأيك إذا ذهبنا إلى الشاطئ؟

ب: ولكن ليس بالعودة إلى ال/م/ث/ل/ج/ا/ت.

ففي هذا المثال خرق لمعيار الكيفية مرتبط باستلزام حواري هو" الأطفال لا يفهمون ما نقول.[2]

1 أبو يعقوب بن يوسف بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم تح: عبد الحميد هنداوي ص515

2 Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatiqueP.207

إن هذه الأمثلة عبارة عن محادثات تبين بدقة كيف ينشأ المعنى الضمني المستلزم على إثر المخالفات لحكم الحديث الأربعة.

مجمل ما ذكر حول مبدأ التعاون، والاستلزام الحواري المترتب عنه؛ أنه حسب تصور غرايس ينبغي استخدام عبارات ملائمة لمقام ومحور الخاطب .

طبيعة الاستلزام الحواري: تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة عند "غرايس" إلى معانٍ صريحة و معانٍ ضمنية.

1/– المعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، و تحتوي على المحتوى القضوي وهو ترابط المفردات فيما بينها و القوة الإنجازية الحرفية، و هي القوة الدلالية المؤثر لها بأدوات تُصيغ الجملة بصيغة أسلوبية كالاستفهام و الأمر والنهي و النداء.... فهي معنى مباشر و حرفي[1].

2/– المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدّل عليها صيغة الجملة بالضرورة، و لكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها و تشتمل ما يلي: معان عرفية و معان تخاطبية.

- فالأولى ترتبط بالجملة ارتباطًا أصيلاً وتلازم الجملة ملازمةً في مقام معين، مثل: معنى الاقتضاء.
- والثانية تتوّلد طِبقًا للمقامات التي تُنجز فيها الجملة مثل الدلالة **الاستلزامية**.[2]

ويمكن إيضاح هذا التصور وكيفية تطبيقه على الجملة الآتية" **هل إلى مرد من سبيل**" بالمشجر الآتي:

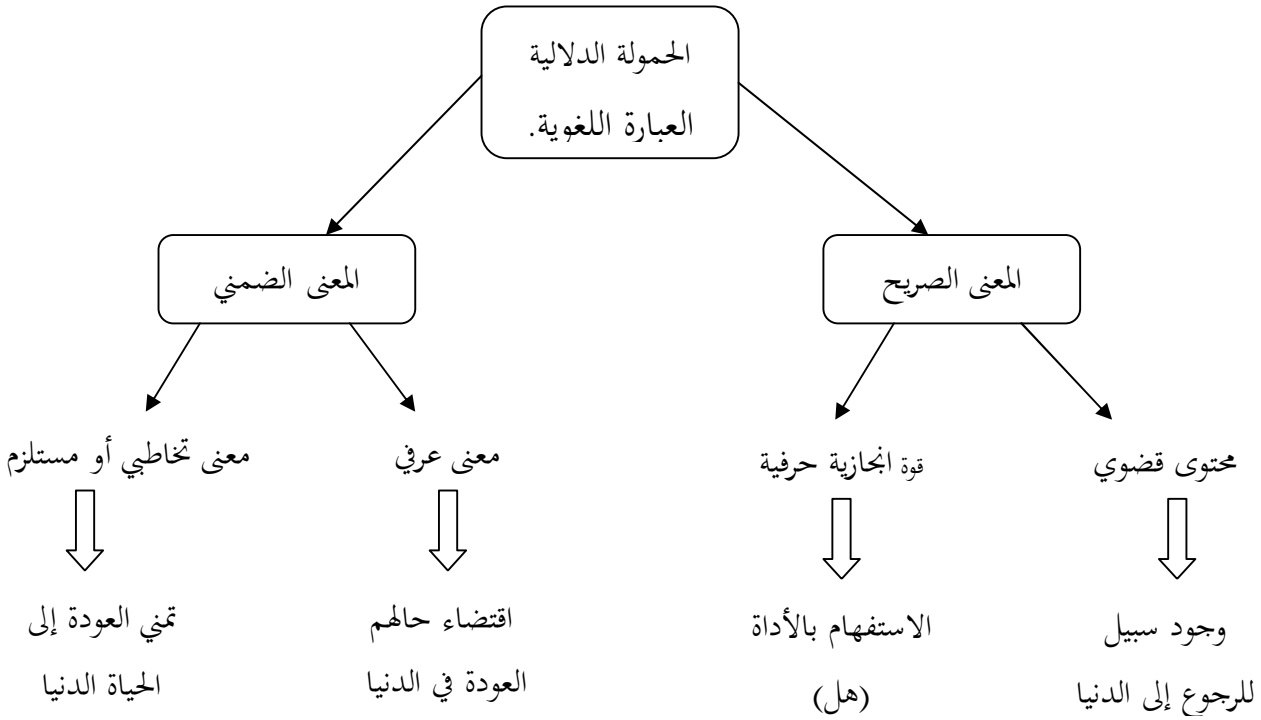

مخطط توضيحي للحمولة الدلالية للعبارة اللغوي.

[1] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 48.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المحاضرة التاسعة: قوانين الخطاب.

سبق الذكر أن مبدأ التعاون الذي حدده غرايس بمسلماته الأربع يضبط المحادثة والحوار ويمثل أحد قوانين الخطاب، وهناك مبادئ أخرى للخطاب منها مبدأ التأدب ومبدأ التواجه، ومبدأ التأدب الأقصى:

1-مبدأ التأدب: صاغت الباحثة روبين لايكوف هذا المبدأ في مقالها الشهير "منطق التأدب"[1] بعبارة " كن متأدبا... وصرحت بأنّ هذا المبدأ يقتضي أن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ"[2] وهذا ما يسهم في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية.

اقترح جوردن ولايكوف" قواعد مصورنة أسمياها مسلمات الحوار لضبط ظاهرة استلزام قضية ما قضية أخرى في طبقة من المقامات معينة. ترتكز مسلمات الحوار على شروط صدق المتكلم أو المخاطب، كما يحددها سورل في تصوره لنظرية الأفعال اللغوية"[3] فالقواعد الضابطة لاستلزام "الالتماس"حواريا مثلا "هل يمكنك مناولتي القلم؟ هو استفهام حول شروط صدق المتلقي أي قدرته على تلبية رغبة المتكلم.

فرعت لايكوف ثلاث قواعد عن مبدأ التأدب:

قاعدة التعفف: "لا تفرض نفسك على المرسل إليه، أي لتبق متحفظا، ولا تتطفل على شؤون الآخرين"[4] أي عدم إكراه المتلقي على فعل شيء مثلا عن طريق الطلب المباشر، وعدم التدخل في شؤونه الخاصة إلا بعد الاستئذان.

قاعدة التشكك أو التخيير: وصيغتها لتجعل المخاطب يتخذ بنفسه وعدم استعمال أساليب الجزم والإلحاح.[5]

قاعدة التودد:من خلال إظهار الود للمتلقي باستعمال صيغ تقوي أواصر الصداقة بين المتخاطبين.[1]

1 طه عبد الرحمن" اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص240.

2محمود طلحة : تداولية الخطاب السردي ، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، جدار للكتاب العالمي ، ط1، 2012، ص123،124.

3 أحمد المتوكل : الاستلزام التخاطبي بين االبلاغة العربية والتداوليات الحديثة ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة حافظ اسماعيلي علوي ص296.

4 عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص100.

5 ينظر محمود طلحة تداولية الخطاب السردي، ص124.

2/مبدأ التواجه: وهناك مبدأ تداولي ثالث يرتبط بمبدأ التأدب هو "مبدأ التواجه" أي مقابلة الوجه للوجه ورد مضمونه عند "براون و"ليفينسون" ويقوم هذا المبدأ على" اعتبار الوجه صورة رمزية تمثل القيمة الاجتماعية للفرد المتكلم، لذلك صاغا مبدأهما كالتالي: لتصُن وجه غيرك"[2] الوجه عبارة عن الذات التي يدعيها الفرد لنفسه والتي يريد بها أن تتحدد قيمته الاجتماعية.

من الأفعال التي تهدد وجه المتكلم الإيجابي : الاعتذار أو الاعتراف بالخطأ، وأما تلك التي تهدد وجهه السلبي فهي الشكر وقبول الشكر أو الوعد، أما المتلقي فمن الأفعال التي تهدد وجهه الإيجابي:الذم والسخرية والنقد، أما التي تهدد وجهه السلبي الأفعال الطلبية الأمر والنصح والتذكير والإنذار والتحذير...[3] إنها قواعد متعلقة بسلوك المتكلم اتجاه المتلقي يمكن أن نستنبط من هذا المبدأ قانون الحذر الذي يقتضي"عدم طرح الأسئلة التي لانرغب الإجابة عنها، أو عدم قول أي شيء لتفادي التعقيدات، وضمن قانون اللياقة يحاول المتكلم تفادي الظواهر التخاطبية الأكثر كشفا للمقاصد أو القابلة لأن تصدم الآخرين انطلاقا من مضمونها الخاص أو من صياغتها"[4] .

3- مبدأ التأدب الأقصى: اقترحه جيفري ليتشG.Leech وصاغه في صورتين اثنتين:سلبية وهي: "قلل من الكلام غير المؤدب"، وإيجابية وهي"أكثر من الكلام المؤدب"[5].

وتتفرع عن مبدأ التأدب الأقصى ست قواعد وهي:

1-قاعدة اللباقة: قلل من خسارة الغير ، وأكثر من ربح الغير.

2-قاعدة السخاء: قلل من ربح الذات ، وأكثر من خسارة الذات.

3- قاعدة الاستحسان: قلل من مدح الذات، وأكثر من ذم الذات.

4-قاعدة الاتفاق: قلل من اختلاف الذات والغير، وأكثر من اتفاق الذات والغير.

5- قاعدة التعاطف: قلل من تنافر الذات مع الغير، وأكثر من تعاطف الذات والغير.[6]

1 ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص241.

2 محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، ص124.

3 ينظر طه عبد الرحمن اللسان والميزان ص243 وينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ص104-105.

4 ذهبية حمو الحاج: قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، ص229.

5 طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص246.

6 نفسه ص246-247وعبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص111-112.

يحافظ مبدأ التأدب الأقصى على أواصر العلاقات الاجتماعية، وقد اقترح طه عبد الرحمن مبدأ التصديق واستمده من التراث الإسلامي وصاغه بالشكل الآتي" لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك" وقد فرعه إلى قواعد تواصلية وأخرى تعاملية :

أما القواعد التواصلية فهي منقولة عن الماوردي:

- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
- ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.
- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.
- يجب ان يتخير اللفظ الذي به يتكلم.[1]

أما القواعد التعاملية المتفرعة عن مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي فقد قسمها إلى ثلاث قواعد:

- قاعدة القصد: لتتفقد صدقك في كل قول تلقي به إلى الغير.
- قاعدة الصدق: لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك.
- قاعدة الإخلاص: لتكن في تودك للغير متجردا عن أغراضك.[2]

وأهم ما يمكن استنتاجه مما سبق ذكره:هو أن مبدأ التعاون كان الأرضية التي انبنت عليها الدراسات التداولية الأخرى التي تبحث في قوانين الخطاب التي تنطلق من العلاقة بين المرسل والمرسل إليه (طرفي الخطاب)، لكن لا يمكن حصر القوانين في هذا الإطار فقط لأن هناك قوانين أخرى للخطاب تضبطه من حيث الشكل أو القصد من خلال التركيز على أداء المقاصد في أحسن الظروف التواصلية.

إن أهم ضابط تميزت به هذه النظرية، هو مبدأ المناسبة "ليكن إسهامك في الحديث مناسبا بناءً للموضوع القائم"، حيث مثل هذا الأخير جوهر ومركز المبادئ أو المسلمات الأخرى. ومن هذا المنطلق اندفعت بعض الجهات المختصة بالدرس التداولي من علماء وباحثين لتعميق هذا المبدأ، وإرساء بعض القواعد، بالاعتماد على روافد معرفية مختلفة. وقد مثل هذا الاتجاه: نظرية الملائمة.

مبدأ التعاون ومبدأ التأدب مبدآن متكاملان يتضمنان الجانب التبليغي والتهذيبي، يتفقان في قاعدة التعفف، ويختلفان في خرق قاعدتي التخيير والتودد لقواعد مبدأ التعاون، مما قد يسمح بانزياح دلالات غير مصرح بها. وتبقى قوانين الخطاب قوانين مثالية لأنّ المتكلمين لا يلتزمون بها في كل الأحوال وهذا ما ينتج عنه سوء التفاهم بين المتكلمين، فكثيرا ما يلجأ الفرد لعبارة "لكن أنا لم أقصد ذلك" لتبرير قوله بعد فوات الأوان.

1 طه عبد الرحمن : اللسان والميزان ص249.

2 المرجع السابق ص 250.

المحاضرة العاشرة: الاقتضاء التداولي:

1- الاقتضاء لغةً:

قضى، حكم، قضيت الحج، أديته، اقتضى الأمر، دلّ عليه، اقتضى منه الأمر طلبه وتقاضاه. و منه **قوله تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}*** وقضى الدين أدّاه، أمّا الاقتضاء فهو الطلب و الاستدعاء و المستلزم من فعل اقتضى،[1] و منه الاقتضاء معناه الاستلزام.

2- الاقتضاء اصطلاحا:

الأصل في الكلام أن يدلّ على معناه، و مقصده دون اللجوء إلى إضافة أو تقدير و منه توظيف الأفعال التي تفصح على المراد، و لكن قد يستدعي في سياقات معينة، إضافة أو تقدير لتحقيق الإفادة ذلك هو الاقتضاء، و هو طلب إفادة أو تقدير عبارة ليستقيم الكلام وبالتالي تحقيق الفهم الذي يُبنى عليه الكلام ويتأسس الكلام عن الكلام المحقق والمقتضى هو ما يستدعيه إنتاج لغوي محقق و المقتضي هو الأساس في عملية التقدير، و المقصود من إظهار مفهوم الاقتضاء أنّ المنصوص يبقى غامضًا ما لم يعتمد على هذه الإضافة لكي يحقق غايته.

والاقتضاء مفهوم منطقي أكثر منه لساني حيث ظهرت بوادر هذه النظرية على هامش الأبحاث المنطقية التي تناولت القضايا باعتبار قيمتها الصدقية "les valeurs de vérité"، وقد وردت في أبحاث "فريج" وهو أول من تنبّه إلى الارتباط بين الإحالة والاقتضاء، فإذا كانت العبارة محيلة فهذا يقتضي وجود شخص في العالم الواقعي تحال العبارة إليه، فعندما أقول مثلاً الرئيس المصري 1973م، هو رئيس السلطات فهذا يقتضي وجود شخص تولّى رئاسة مصر عام 1973م هو السادات.[2]

والموقف التداولي من الاقتضاء لم يكن مقنعًا هو في الموقف المنطقي إلاّ أنّه سجل نجاحًا كبيرًا لأنّه جعل من الاقتضاء الذي كان أول الأمر مشكلاً منطقيًا يتبع مفاهيم، مثل:الصدق، والاستلزام.[3]

[1] – البخاري محمد بن اسماعيل بن بردزبة: كشف الأسرار، تحقيق عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، ص 351.

[2] – صلاح حسنين: مدخل إلى علم الدلالة، ص 193.

[3] – مارغوت هانيان و فولفنغ هاينان: أسس لسانيات النص، تر موفق محمد جواد الصالح، دار مأمون للترجمة و النشر بغداد، ط1، 2006، ص 14-15.

وهكذا يُمكن أن نُميز بين التضمين والاقتضاء انطلاقًا ممّا سبق؛ حيث يمكن أن يعتبر التضمين عنصرًا من دلالة الجملة ولكنّه لا يظهر على مستوى السطح، وإنّما يبقى غائبًا عن الملفوظ ولا يمكن اكتشافه إلاّ عبر مجموعة من الاستدلالات المنطقية، أما الاقتضاء فيبقى معطى داخل الملفوظ "إذ لا تقول بأنّ ملفوظًا ما يقتضي غيره إلاّ إذا كانت حقيقة هذا الأخير شرطًا مسبقًا لحقيقة الأول".[1]

نحو: كل نقود علي مزورة فهذا يقتضي أنّ لـ "علي" نقود.

[1] – فرنسوا أرمينيكيو "François Arminaco": المقاربة التداولية، تر الدكتور سعيد علوش، ص 60.

المحاضرة الحادية عشر:البلاغة الجديدة

يرى **أرسطو** أنّ البلاغة هي «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان»[1]، فقَصَر وظيفتها على الإقناع،لذلك ترتبط بلاغة أرسطو«بالمحاجّة [الحجاج] والتطبيق الملائم له هو فن الخطابة- الفصاحة- الذي يهدف إلى الإثبات والإقناع بواسطة الخطاب»[2]، فالبلاغة دراسة كيفية إقناع السامعين بأن يفكروا ويتصرفوا بطريقة ما كانوا اختاروها طبيعيا من تلقاء أنفسهم.

والملاحظ بوضوح عند **أرسطو** أنّ«الهم الأول كان هو إتاحة التداول الجماعي لتكوين رأي الأغلبية لم يكن يهتم بالحق بقدر اهتمامه بما يظهر أنه حق؛ أي ما ينبغي أن يظهر أنه حق لإقناع الآخر»[3]. فمشروع **أرسطو** يندرج في إطار أشكال التأثير والإقناع على المخاطبين بشتى الوسائل.

1- الحجاج والبلاغة العربية:

تعدّدت معاني ومفاهيم البلاغة عند البلاغيين العرب، وإن أجمعت معظمها على القدرة على التأثير في المتلقي بأحسن الألفاظ؛ فمن مفاهيم البلاغة كذلك ما جاء بصحيفة **بشر بن المعتمر**210هـ قوله:«أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدّهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام»[4]. فالبلاغة إذن ما رضيته الخاصة من عذب الألفاظ وما فهمته الخاصة، فيكون بذلك اللفظ قادرا على إرضاء الخاصة من الناس وإفهام العامة منهم.

---

[1] أرسطو طاليس الخطابة ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص29.

[2] جورج مولينيه: الأسلوبية، ترجمة بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1427هـ-2006م، ط2، ص37.

[3] باتريك شارودو: الحجاج وأشكال التأثير ، ترجمة ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف حافظ إسماعيلي علوي ص292.

[4] الجاحظ: البيان والتبيين :وضع حواشيه : موفق شهاب الدين منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان المجلد الأول ط1، 1419هـ-1998،ج1. ص99.

وذكر **الجاحظ**(ت255هـ)أنّ:«جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواقع الفرصة»[1]، فمفهوم البلاغة عنده هي الحجاج ويكون غايته استمالة القلوب وثني الأعناق؛ أي جعلها تنساق وتقاد وتذعن لما يقوله المتكلم.

كما رأى أنّ البيان «يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وإنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأنّ ذلك أكثر ما تستمال به القلوب وتثني له الأعناق وتزيّن به المعاني»[2].

تؤدي البلاغة بذلك وظائف منها الإفادة والإمتاع والإثارة والإقناع وإظهار القوة الجمالية بإبداع.

ويرى **الجاحظ** أنّ البلاغة «إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز، ومعرفة الفصل من الوصل»[3] ، فيكون القول موجزا مع إصابة المعنى لمقصدية المتكلم التي يردي دبها الحجاج لرأي معين.

وقد سُئل **ابن المقفع** ما البلاغة؟ فقال:«البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل»[4]، ويهمنا في هذه البلاغة الأساليب التي يراد بها الاحتجاج أو الحجاج في الشعر خاصة.

ويرى **الجاحظ** أنّه «إذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة»[5]، وبالتالي فهو يشترط وضوح المعنى للتأثير على السامعين وممارسة الفعل عليهم، فإذا كان الكلام بليغا فإنه يشفي غليل المتلقي ويطفئ ظمأه فيؤثر فيه ويقنعه لا محالة.

فحينما قال "يصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة" تركيز على القلوب؛ لأنّ دلالة القلب ترتبط بذوق المتلقي وتهتز له عاطفته كلما كان بليغا كان مؤثرا مستميلا ومقنعا، وكلما نوَّع الشاعر

[1] الجاحظ: البيان والتبيين ج1 ص68.

[2] نفسه ج1، ص16.

[3] الجاحظ: رسائل الجاحظ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ اختيار الإمام عبيد الله بن حسان ، شرح وتعليق محمد باسل عيون السود، المجلد2، الجزء4، ، ص113.

[4] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص85.

[5] نفسه، ص65.

من ألوان البيان كلما كان أدعى للفت انتباه المتلقي وإيقاظه للاستماع، وإبهاره بجمال الخيال، وروعة الإبداع فيستميل مشاعر متلقيه، ويؤثر في عقله ويقوده إلى الاقتناع.

يرى **أبو هلال العسكري** (ت395هـ) أنّ البلاغة قول مفقه في لطف قائلا:«فالمفقه: المفهم، واللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتُقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب ويلزم صاحبك الذّنب من غير أن تهيجه وتقلقه وتستدعي غضبه وتستثير حفيظته»[1]، فالتعبير البلاغي يضمر أهدافا حجاجية لإفهام المتلقي وإرضائه بلطيف الكلام.

فالبلاغة عند **العسكري** (**395هـ**) هي:«كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»[2]. والسبيل إلى ذلك سواء كان الخطاب شعرا أو نثرا هو «أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على المعنى الأول، والحجة على صحته»[3]، وما يأتي به الشاعر من تشبيه واستعارة وكناية... حججٌ على صحة المعنى الذي يقدمه للسامع بغية إقناعه والتأثير فيه، فالوسائل البلاغية «إنجاد للمعاني الأُوَل وإغاثة لها على ما يُراد من تأثّر النفوس لمقتضاها»[4]؛ حيث يجب على المتكلم أن يراعي حسن الألفاظ لتصل إلى المتلقي فيفهمها عقله ويقبلها قلبه.

وفي هذا الصّدد يقول **عبد القاهر الجرجاني** (471هـ) :أن«تكون اللفظة ما يتعارفه الناس في استعمالاتهم ويتداولونه في زمانهم»[5]، ثم إنّ الكلام لا يستحق اسم البلاغة «حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[6]؛ بمعنى وجوب مطابقة اللفظ للمعنى في الوقت نفسه وعدم أسبقية أحدهما عن الآخر .

يرى **الزمخشري**(528هـ) أنّ الكلام «إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وتختص مواقعه بفوائد»[1]، والمقصود من التأثير هو التغيير في السلوك.

---

[1] الصناعتين: (الكتابة و الشعر) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع، القاهرة، 2004.الجزء1 ص51.

[2] الصناعتين: (الكتابة و الشعر) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،ص10.

[3] نفسه، ص416.

[4] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 1982، ط3 ص300.

[5] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص09.

[6] الجاحظ البيان والتبيين ج1: ص85.

[1] الزمخشري: أساس البلاغة ص119.

ونكتشف من خلال تفحصنا لمفاهيم البلاغة عند العلماء العرب ربطا بينها وبين الحجاج، فكلما كان القول بليغا كان مستميلا مقنعا، ومؤثرا في سلوك سامعه ودافعا إياه على تغيير رأيه أو موقفه، أو دفعه إلى القيام بأمر ما.

2- الحجاج والبلاغة الجديدة: اهتم البلاغيون الغربيون المحدثون بالبلاغة خاصة ما أصبح يعرف في البحث التداولي بالبلاغة الجديدة التي أثارت إشكالية الحجاج من خلال "مصنف في الحجاج أو البلاغة الجديدة " **لبيرلمان** Perelman **وتيتكا** Tytec الذين لا يعتبران الحجاج تلاعبا بعقل المخاطب؛ بل يؤكدان على أنّ موضوع الحجاج هو«درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم»[1]، فهما يجعلان الحجاج تفاعلا بين المتكلم والمتلقي، ولا يكون ذلك إلا بدراسة الكلام المقنع من أجل كسب تأييد وقبول الأطروحة المقدمة، ودراسة التقنيات البلاغية الحجاجية التي تسمح بتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تطرح عليهم هي موضوع الحجاج، ذلك أنّ التّخاطب إنّما يتم من أجل ربط علاقات مع الغير بهدف التأثير فيه أو الاتفاق معه، وذلك عن طريق تبرير موقف أو الدفع إلى عمل.

والبلاغة عند **بيرلمان** Perelman مطابقة لنظرية الحجاج «وقد عبّر العنوان الفرعي "البلاغة الجديدة" لكتاب **بيرلمان** Perelman مصنف في الحجاج عن هذا التوجه العام الذي يروم جعل البلاغة علما مستقبليا هدفه... تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسّسة عليها»[2]. والحجاج مثله مثل أي فعل كلامي تداولي يحكم عليه بمعيار النجاح والفشل ومتى ما كان المتكلم قادرا على إقناع المتلقي كان فعله الحجاجي ناجحا موفقا و«أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»[3].

ومن هنا تكون البلاغة ذات طابع تداولي نظرا للأنماط المقصدية:

أولها مقصدية فكرية: وتضم مكونا تعليميا وحجاجيا وأخلاقيا وهذا بعد إقناعي.

وثانيها مقصدية عاطفية وتضم مكونين أحدهما غائي يكون هدف الإقناع فيه خارج النص، والآخر غير غائي يكمن في إحالة النص نفسه مما يولد المتعة الجمالية وهذا بعد جمالي.

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتب حمادي صمود أهم نظريات الحجاج، ص299.

[2] محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد ط1، 2008، ص102.

[3] صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة الكويت صفر1413هـ أغسطس/أب1992م، ص74.

وثالثها مقصدية انفعالية وتكمن في البحث عن الانفعالات العنيفة التي تسيطر على الجمهور لتحقق تهييجا عاطفيا وقتيا، وهذا يعد بعدا انفعاليا متعلقا بالمتلقي.

أضفى ***بيرلمان*** *Perelman في نظرية البلاغة الجديدة بعدا عقليا على الحجاج؛ ورأى أنّ «الفعل المترتب على الحجاج ليس موصلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو فعل هيّأ له العقل والتدبر والنظر»*[1]*، فقد أخرج الحجاج من تهمة التلاعب بالجمهور، وبذلك تخلص من أسر المنطق والاستدلال المجرد واقترب من مجالات استعمال اللغة.*

وليست البلاغة الجديدة عند **بيرلمان**Perelman «معنيةً بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية؛ بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع وخاصة وسيلة للإبداع أي الحضور»[2]. فهي بلاغة تُعنى بالإقناع وليس بالأسلوب.

جعل البلاغيون المحدثون الحجاج محور الآلة البلاغية، فقد عرّف **ميشال مايير** الحجاج بأنّه«جهد إقناعي وبعد جوهري في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه»[3]، واهتم **مايير** بالصور البلاغية والحجاج في نظرية المساءلة.

تجاوزت البلاغة في نظر **ميشال ماير** حدود فن الإقناع أو فن التعبير فقط؛ بل أصبحت طرحا إشكاليا يُعنى بكل القضايا داخل نظام اللغة وخارج الذاكرة والعقل ومعارف موسوعية والتي تعد أساس العلاقات التواصلية وتداول الأسئلة والأجوبة بين الناس، فـ«القول الحجاجي هو جزء من اللغة يبدأ في الوقت الذي يعطي فيه الإنسان لنفسه الحق في القول والفعل»[4] ، فكل سؤال يثير سؤالا آخر، ويكون الإقناع فيه مجرد طرح للمشاكل والتساؤلات التي يثيرها المتكلم والمستمع فيما بينهما.

عرّف **ميشال مايير** البلاغة بأنها«ذلك الحوار حول المسافة بين الذوات أو هي ذلك الحوار حول المسافة بين الناس بصدد مسألة أو مشكل ما... هذه المنهجية البلاغية تؤسسها بنية عميقة ...بنية الذات Ethos والآخرpatitos وبينهما اللوغوس Logos من حيث هو كلام ولغة قبل أن يكون عقلا في حين أن البنية الأساسية للبلاغة هي بنية إشكالية تعتمد سيرورة تساؤلية Questionnement تقصي

[1] عبد الله صولة : الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص299.

[2] صابر حباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر دمشق الإصدار الأول 2008، ص16.

[3] محمد سالم محمد الأمين الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر ص103.

[4] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص195.

من فضائها الأجوبة الضرورية والنهائية»[1]، فقد ربط **مايير** البلاغة بالمساءلة والعمليات الحوارية والآليات الرياضية والمنطقية والنفسية التي تصب في النظرية الحجاجية.

يرى **ليتش** Leech(1936-) أنّ البلاغة «تداولية في صميمها إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسّامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما»[2]، فالتداولية والبلاغة تشتركان في اعتماد التأثير على المتلقي وجعله يذعن للأطروحة ويقبلها.

والبلاغة «ملكة اكتشاف وسائل الإقناع الممكنة بالرجوع إلى الموضوع أيّا كان»[3]، فالبحث في البلاغة هو بحث في الحجاج وتقنياته من وسائل الإقناع والتأثير.

توسّعت دائرة البلاغة مما جعلها تستوعب عددا من العلوم المجاورة إلى درجة صارت عند البعض أفضل تعبير عن الحداثة يقول **بارت** «لا يعني أنّه توجد اليوم بلاغة جديدة، فالبلاغة القديمة تقابل بالأحرى هذا الجديد الذي لم ينجز بعد، إنّ العالم مليء وبشكل عجيب بالبلاغة القديمة»[4] ؛ حيث تهتم البلاغة الجديدة بوسائل الإقناع والحجاج؛حيث تدرس التقنيات الإقناعية في الخطاب ولتُحقّق أغراضها لابدّ لها من حجاج، وتكمن دراسة هذه التقنيات في الخطاب الشعري في الآليات الفنية التي يتوسل بها المتكلم إلى تمرير خطابه، وإكسابه النفاذية المرجوة والفعل المتوقع.

يرى **أوليفي روبول**Reboul أنّ ميدان البلاغة يشمل «كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج»[1]. والبلاغة كما عرّفها **ديكرو**:«فن ابتكار الاختيار والتعبير المزيّن بشكل ملائم والذي يمكن استخدامه في الإقناع»[2].

---

[1] محمد سالم محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال) مجلة عالم الفكر الكويت مجلد 28، العدد 3 يناير، مارس 2000، ص73.

[2] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ص97-98.

[3] محمد العمري بلاغة الخطاب الإقناعي ص19.

[4] محمد سالم محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال) مجلة عالم الفكر ص56.

[1] إبراهيم عبد المنعم إبراهيم: بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا ص136.

[2] أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2007، ص161.

والدراسة البلاغية التي تناولت الحجاج هي البلاغة الجديدة La nouvelle Rhétorique ويمكن تعريفها بأنّها «نظرية عامة للمحاججة بكل أشكالها الشرعية والسياسية والأخلاقية والجمالية والفلسفية»[1]؛ حيث تناولت هذه النظرية كيفية الإقناع في اللغة.

تهتم البلاغة بمقام القول وسياقه بحثا عن المقاصد مرتكزة في ذلك على وضع المتلقي، وهنا يتجلى بُعْدُها التداولي «فالبلاغة تمثل منهجا للفهم النصي مرجعه التأثير وعندما نفكر وفق المفاهيم البلاغية، فإنّنا ننظر إلى النص من زاوية نظر المستمع/المتلقي ونجعله تابعا لمقصدية الأثر" [2].

تقنيات الحجاج عند بيرلمان:هناك ثلاثة أنماط للحجج: الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، والحجج المبنينة للواقع، ويندرج تحت كل نوع مجموعة من الأقسام:

1/ الحجج شبه المنطقية :

الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

أ- التناقض وعدم الاتفاق:**Incompatibilité**

ب- التماثل والحد في الحجاج : التحديد عبارة دورية كأن نقول (المال هو المال) أو (الدنيا هي الدنيا)؛ فهذا التحديد يفتقد إلى حجة منطقية صارمة، لكن يفهم معناه حتى وإن تكرر اللفظ، فمعنى الثاني يحيل إلى معنى آخر غير اللفظ الأول،

ج- الحجة القائمة على العلاقة التبادلية: **Arguments de réciprocité**ومن أمثلتها السن بالسن والشر بالشر... ، محلال عليكم حرام علينا. أو ضع نفسك في مكاني...

1-2 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية :

من الحجج التي تعتمد على العلاقات الرياضية حجة التعدية **Argument de transitivité**

أ- حجة التعدية مثل قولنا عدو صديقي عدوي

ب- تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له **Argument de division**

ج- إدماج الجزء في الكل أو حجة الاشتمال **L'argumentation par inclusion**

[1] أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي ، ص163.

[2] هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق 1999، ص24.

د- الحجج القائمة على الاحتمال **L'argumentation par le probable**

2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع: تقوم هذه الحجج على علاقات تربط بين الأشياء والعالم، وهذه العلاقات ليست منطقية؛ بل هي علاقة تفسير وتوضيح للوقائع والأحداث، وتندرج ضمن هذه الفئة من الحجج العلاقات الكنائية والمجازية المرسلة[1]؛ فعندما يقوم المتكلم بتفسير أحداث الواقع وتوضيحها تبدو أكثر إقناعا ويكون خطابه أقدر على التأثير في المتلقي ومن الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

أ- التتابع:الحجة السببية والحجة التداولية:

ب- الغائية: حجة التبذير، حجة الاتجاه، حجة التجاوز:

ج- التعايش: حجة السلطة، حجة الشخص وأعماله

3- الحجج المبنينة للواقع: إذا كانت الحجج المؤسسة على بنية الواقع تكتفي بالربط بين وقائع متعايشة أو متتابعة؛ فإن الحجج المبنينة للواقع تستند إلى الجمع بين أحداث وأشياء مترابطة مكانيا أو زمانيا أو رمزيا، حيث نستدل على شيء بآخر يرتبط به.[2]

أ- **الشاهد** illustratio ويهدف إلى«تقوية حضور الحجة بجعل القاعدة المجردة ملموسة بواسطة الحالة الخاصة يستشهد بها عليها»[3]، فالاستشهاد صورة تدعم القاعدة وتوضحها، ويكون الشاهد في الربط بين المتفقات في الجنس، أما التشبيه فهو مقارنة بين المتباينات ويمكن للفكرة الخيالية أو الخرافية المجازية أن تضطلع بوظيفة إقناعية «عندما نجردها من سياقها التاريخي والأصلي، إنها في حد ذاتها قابلة لوصمة الكذب ولكنها حينما تسلك في شاهد ما تتغلب على فنائها لكي تكتسب شرعية جديدة بتحولها إلى البرهنة عليه بأية طريقة»[1].ومن هنا فإن الشاهد يدعم الحجة ويقويها.

ب- المثال l'exemple : يكمن دور المثال في تأسيس القاعدة، ويؤتى بالمثال في الحالات التي «لا توجد فيها عادة مقدمات Des prémisses، إنّ المحاجة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لتكريسها»[2].و يستعمل المثال لتوضيح الفكرة وتقويتها.

---

[1] ينظر، محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص385.

[2] ينظر محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ،ص399.

[3] عبد الله صولة في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص55.

[1] محمد الولي : مفاهيم بلاغية، الكناية والشاهد والتشبيه والاستعارة والتمثيل والأسطورة، مجلة علامات، العدد17، ص93.

[2] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص540

ج– القدوة: وتسمى كذلك النموذج، فأن تحث شخصا على الاقتداء بنموذج معين يحتم عليك أن تقتدي به أولا حتى لا تصبح محل سخرية.

د– المقارنة: وهي تقنية حجاجية إنها«عملية تجريبية منشدّة إلى عملية بناء الواقع خاصة، وأن المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية؛ بل قد تكون مبتدعة لا أساس لها إلا سياق النص وخيال المحتج»[1].

هـ – التناسب: تظهر تقنية التناسب الحجاجية في كونه يتألف في بنيته العميقة من أربعة أطراف، وشرط التناسب هو«التأليف بين علاقتين وتتحقق كل علاقة بين شيئين منتميين إلى جنس غير جنس الطرف المقابل؛ أي أن الموضوع والشبيه ينتميان إلى جنسين مختلفين»[2].

المحاضرة الثانية عشر. الحجاج التداولي (نظرية الحجاج في اللغة ديكرو):

مفهوم الحجاج:

1- **الحجـاج لغة**: (L'argumentation)

الحِجَاجُ لغةً من حَاجج، جاء في معجم العين «الحجُّ كثرة القصد إلى من يُعظّم... حجّوا عمامته: عظموه... ويقال الحجة الموسم... والمحجّة: قارعة الطريق الواضح، والحجّة: وجه الظفر عند الخصومة»[1]. فدلّ الحجاج على الخصام.

وفي هذا الصدد يرى **الزمخشري** (ت538هـ) أنّ الحجاج هو المخاصمة، ويضيف بعض المعاني المجازية التي يمكن استعمالها بلفظة الحجاج؛ حيث يقول«احتج على خصمه بحجّة شهباء، وبحجج شُهْبٍ، وحاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجّة وملاجّة، وسلك المحجّة، وعليكم بالمناهج النيّرة والمحاج الواضحة، وأقمت عنده حجّة كاملة... وحجّوا مكة، وهم حجّاج وفلان تحجّه

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص248.

[2] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، 432.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي أ:خ منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 2003م-1424هـ، باب الحاء ، المجلد الأول ص286.

الرّفاق أي تقصده... ومن المجاز: بدا **حجاج** الشمس، كما يقال حاجبها... ومرّوا بحجاجي الجبل، وهما جانباه...»[1].

ويقول **ابن منظور** (711هـ) «حَاجَجْتُه، أَحَاجُّه، حِجَاجًا ومُحَاجَّة حتى حَجَجْتُه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. وحَاجَّه مُحَاجَّة وحِجَاجًا، نازعه الحُجَّة. والحُجَّة البرهان. قال الأزهري: الحُجَّة، الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. ويقال أيضا رجل مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ. والتَّحَاجُ بمعنى التَّخَاصُمُ. وحَاجَّه أي نازعه الحُجَّة».[2]

فعلى هذا يعني الحِجَاج النزاع والخصومة بواسطة الأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية، فيكون مرادفا للجدل؛ لأنه يجمع بين معنيي اللفظين المخاصمة والمنازعة مع «أنّ فعل حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة... والأغلب أنه يفيد الخصام بباطل».[3]

وأصل الحجاج الخصومة والنزاع وهما لا تستلزمان العداوة؛ «بل مدارهما على الاختلاف مع الطرف الآخر؛ لأن ظروف المنازعة ودواعي الصراع يقتضيان تصلبا في الرأي مما يدفع به إلى إقحام كل ما يملكه من الدلائل لكي يفحم به الخصم».[4]

ويرجع **أبو بكر الرازي** مفهوم الحجاج إلى القصد، وغلبة الخصم بالحجة والبرهان؛ فيقول: «الحج في الأصل القصد (...) والحجة البرهان، وحاجه فحجه من باب رد، أي غلبه بالحجة... ورجل مِحجاج بالكسر أي جدل، والتّحاج التخاصم والمحجة بفتحتين: جاد الطريق»[1]، وهذا التعريف بدوره يجعل من الحجاج والبرهان والجدل مصطلحات مترادفة لا فرق بينها.

بينما نجد **أبا هلال العسكري** يفرق بين "الحجة" و"الدلالة" و"البرهان" قائلا: «الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من الحجة وهي

---

[1] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ط1، 1426-1427هـ،2006م مادة (ح ج ج) ص113.

[2] ابن منظور : "لسان العرب " .المجلد الرابع. دار صادر . بيروت. مادة (ح ج ج) ج1 .ص38.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ط الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ص32.

[4] سعيد فاهم : معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا، دراسة دلالية معجمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر جامعة مولود معمري تيزي وزو،كلية الآداب واللغات 2012، ص14.

[1] محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح: عني بترتيبه محمود خاطر بك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع طبعة1401-1981. مادة حاجج.

الطريق المستقيم، وهذا هو فعله المستدل وليس من الدلالة في شيء. وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها، وإنما تنفصل الحجة من البرهان؛ لأنّ الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد: حج يحج إذا استقام قصده»[1].

وتتفرع من مادة (ح ج ج) معاني جزئية ثلاثة :«فالمعنى الأول: المحاج وهو صاحب الغلبة(الغالب) والثاني: المحجوج (المغلوب)، والثالث: الحجج التي يتبادلها المتخاصمان»[2].

قال عز وجل﴿**أَلَمْ تَرَ إلى الْذِّي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾[3].حيث دلّ الفعل حاجّ على دخول إبراهيم والنمرود في خصام وجدال، وفي تفسير هذه الآية الكريمة "حاجّ" أي "جادل"[4].

الحجاج اصطلاحا:

2-1 مفهوم الحجاج عند العرب:

يقول **أبو الوليد الباجي** (474هـ) عن الحجاج أنّه «من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا؛ لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّةً ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم »[5]، وهذا ما يبيّن أهمية الدراسة الحجاجية.

فالحجاج تقنية يقوم المتكلم بها ليوضح موقفه ويعلله أمام مخاطبه إنّه« إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع المستمع إلى تبني موقف اعتمادا على إثباتات أو حجج».[1] ولا تقوم الحجة إلا بالسبب والعلة والإثبات.

والحجة «ما دُلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد»[2]، فأساس الحجاج الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا وبالتالي بناء موقف معين، وقد بحث **الغزالي** في مفهوم

[1] أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت 1401-1981، ص16

[2] سعيد فاهم: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا، دراسة دلالية معجمية، ص14

[3] البقرة 258.

[4] جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي: تفسير الإمامين الجلالين للقرآن الكريم، حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة: رحاب، الجزائر ، ص37.

[5] أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج تحقيق عبد المجيد التركي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 المغرب 1987، ص08.

[1] محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص08.

السببية وربطها بالعلة والتعليل، ورأى أنّ أصل اشتقاق السبب «من الطريق ومن الحبل الذي ينزع به الماء من البئر، وحدُّهُ ما يحصل شيء عنده إلا به، فالوصول بالسير لا بالطريق ولكن لا بد من الطريق ونزع الماء بالاستسقاء لا بالحبل»[2].

تحدّث "**طه عبد الرحمن**" عن الحجاج في قوله «الحجاج كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[3] ، فالحجاج يتعدى المعرفة المبسطة فيما نطق به المتكلم لتتعلق بما يقتضيه المنطوق أي ما هو متضمن فيه.

ويرى **طه عبد الرحمن** أنّ للحجة وجهين تختص بهما «يتمثل الأول في إفادة الرجوع أو القصد إنّ الحجة من فعل حجّ الذي يعني رجع، فتكون الحجة أمرا ترجع إليه أو تقصده إلا لحاجتنا إلى العمل به... والثاني يتمثل في إفادة الغلبة ذلك أنّ الفعل حجّ يدل أيضا على معنى غلب فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة»[4]، فركز بذلك على المعنى اللغوي للحجاج المتمثل في القصد والغلبة بالحجة.

2-2 مفهوم الحجاج عند الغرب:

تُرجم مصطلح Argumentation في الدراسات اللسانية الحديثة بالحجاج الذي يقصد به «سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة»[5]، وهذه الحجج الموجهة لإثبات موقف أو دحضه.

وفي هذا الصدد نجد في قاموسle grande robert مصطلح Argumentation هو «فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة والفعل حاجج Argumenter هو الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج»[1] ؛ بمعنى إتباع طريقة معينة في تقديم الحجج لتحقيق الإقناع.حيث تحيل لفظة Argumentation على عدة معاني من بينها:[2]

- القيام باستعمال الحجج.

---

[1] الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات تحقيق إبراهيم الأنباري، دار اللسان العربي، بيروت ، لبنان 1992، ص482.

[2] الغزالي المستصفى ج1ص60، ضمن كتاب مفهوم السببية عند الغزالي أبو يعرب المرزوقي، دار بوسلامة للطباعة تونس، ط1، ص200.

[3] طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 1998. ص226.

[4] نفسه، ص137.

[5] محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة، الدار البيضاء ط1، 1426هـ 2005 م ، ص 08.

[1] Le grand Robert : Dictionnaire de la langue française, T.1Paris, 1989, P.535

[2] Ibid P.535.

- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة.

الحجاج هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل موقفه أو رأيه أو سلوكه، وغايته الإقناع. والإقناع حسب **فيليب بروتون**Philipe Breton «هو أحد من الحالات الأساسية للتواصل، وذلك تبعا لكون القصد هو التعبير عن إحساس أو حالة أو نظرة خاصة إلى العالم أو إلى الذات، أو الإخبار؛أي الوصف الموضوعي إلى أقصى درجة لمقام ما...الإقناع أي التوجه إلى المستمع بالمبررات المقبولة لتبني رأي ما»[1]؛ حيث يتعلق مجال الإقناع بالمتلقي ومدى استعداده للاستجابة إلى مؤثرات المتكلم من أجل تعديل الرأي أو السلوك.

كان ميدان الحجاج يعتمد أساسا قبل "**ديكرو**"Ducrot على البلاغة الكلاسيكية(**أرسطو**) أو البلاغة الحديثة (**بيرلمان**)Perelman، أو يعتمد على المنطق الطبيعي (**غرايس**)Grice.

وضع اللغوي الفرنسي "**ديكرو** Ducrot نظرية الحجاج في اللغة منذ سنة 1973، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير؛ حيث يقول ديكرو Ducrot «إننا حين نتكلم إنما نهدف إلى التأثير في هذا السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما ، أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك »[2] ، وبعبارة أخرى فإنّ دراسة الحجاج أخذت تهتم باستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاستمالة استنادا إلى أنماط الاستدلال الصورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية.[1]

تريد نظرية الحجاج أن تبيّن أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها. ومن هذه الزاوية يصبح الحجاج بعدا جوهريا في

[1] Philipe Breton , l'argumentation dans la communication, Alger. Casbah,1998 p.4.

[2] Anscombre et ducrot : L'argumentation dans la langue, philosophie et langage troisième édition, MARDAGA , P.05.

[1] يُنظر عبد السلام عشير : "عندما نتواصل نغير " مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق، المغرب 2006. ص67.

اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وُجِدَ خطاب العقل واللغة؛ فإنّ ثمة استراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته [1].

قد يعتمد الخطاب الحجاجي على التفسير، ويشترط فيه عدم تبني موقف وتوضيح مختلف المواقف المتخذة ويتخذ موقف الحياد، ثم تبرير اتخاذ موقف ما بعد ضمان صحة موقفه «وأن يقدم في الآن نفسه المخاطب وسائل للحكم عليه لأنه ينبغي لهذا الأخير بدوره أن يكون قادرا إما على الاقتناع بالموقف المتخذ أو دحضه»[2]، والتفسير هو «إظهار دلالات النص بما تقتضيه ألفاظها دون وجود عوامل تخفيها عن المفسر فهو بذلك يظهر المعنى المباشر»[3].

يعتبر **ديكرو** Ducrot الحجة عنصرا دلاليا يخدم عنصرا دلاليا آخر، قد يكون ظاهرا أو مضمرا[4]، فالحجة هي الدليل لدعم الإثبات.

ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج (Argumentation) ينبغي مقارنته بمفهومي البرهنة (Démonstration) والاستدلال المنطقي.

ثانيا : علاقة الحجاج بالبرهان والاستدلال: الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. ولفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية[5]، فمجال الحجاج«هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع... فـ**أرسطو** (322ق م-384ق م)على سبيل المثال في دراسته لأصناف المقدمات كان يؤكد فكرة تعارض الاستنتاج البرهاني الذي ينطلق من الإثباتات الصادقة مع الاستنتاج الجدلي الذي ينطلق من أفكار وآراء مقبولة فقط، ثم إنّ البرهنة مجالها هو المنطق أو اللغات الاصطناعية الرمزية بشكل عام، ومجال الحجاج هو الخطاب»[1].

---

[1] حبيب أعراب : " الحجاج والاستدلال الحجاجي ". مجلة عالم الفكر . العدد1. المجلد 30. ص67.

[2] باتريك شارودو . الحجاج وأشكال التأثير ، ترجمة ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي اشراف حافظ اسماعيل علوي ص 300.

[3] سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج عالم الكتب الكويت ، جدارا للكتاب العالمي ط1 1425هـ 2005 م . ط2 2008/1429 إربد ، عمان الأردن، ص714.

[4] أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ،الأحمدية للنشر الدار البيضاء ، ط1، 2010، ص45-46.

[5] Jacques Moeschler : " Argumentation et conversation" p 46.

[1] أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج، ص25.

ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

1- كل اللغويين علماء.

-زيد لغوي.

- إذن زيد عالم.

يتعلق الأمر هنا ببرهنة أو بقياس منطقي، فاستنتاج أن زيدا عالم حتمي وضروري لأسباب منطقية. فالأمر هنا محسوم بالقبول أو الرفض، فتنتفي أية ضرورة للحجاج.

أما قولنا : 2- انخفض ميزان الحرارة .

إذن سينزل المطر.

فهذا القول لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني، فاحتمال نزول المطر يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي.[1]

يقابل لفظ "حاجّ (Argumenter) ألفاظ من مثل("برهن" (أثبت،أقام الدليل)prouver) واستنتج (Déduire) والخطاب الحجاجي ليس خطابا حاملا لأدلة وبراهين، كما أنّه ليس خطابا لقيم استنتاجية منطقية، و"حاجّ" لا تعني مطلقا برهن على صحة قضية، ولا إبراز الطابع المنطقي للبرهان.[2]

تخضع العلاقة المنطقية دائما لشروط الصدق(Valeurs de vérité) وهذا ما لا نجده في العلاقة الحجاجية ؛ فـ«ليس من الضروري أن يكون لكل تعبير عن السببية صحة حجاجية»[3]، ويمكن ملاحظة ملفوظات غير مقبولة منطقيا ومع ذلك فهي مقبولة وموجودة في الخطاب. فقولنا:

- ليس لدي وقت، ومع ذلك أتناول فنجان قهوة.

هذا القول لا يخضع للمنطق، من حيث أنّ المتكلم ليس لديه الوقت الكافي، وبالتالي لا يمكنه شرب القهوة، مما يدلّ على أنّ العبارة الثانية خاطئة، ومع ذلك لا يتبادر إلى ذهن أحد بأنّ الملفوظ السابق فيه تناقض، والعلامة التي جعلت التناقض ينتفي من القول هي"ومع ذلك". وبالتالي يصبح الملفوظ السابق مقبولا حجاجيا مرفوضا منطقيا. وهكذا يتضح الفرق بين الحجاج والبرهان، ومن هنا وجب التمييز بين الاستدلال (Raisonnement)والحجاج(Argumentation)؛ لأنهما ينتميان إلى نظامين مختلفين جدا، نظام ما نسميه عادة بنظام المنطق ونظام الخطاب.

[1] Voire, Jacques Moeschler : " Argumentation et conversation: p 46

[2] Ibid: p48

[3] باتريك شارودو: الحجاج وأشكال التأثير، ترجمة: ربيعة العربي ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف حافظ اسماعيلي علوي ص299

والاستدلال عند علماء الأصول «دليل ليس بنص ولا إجماع ولا قياس ... المعرّف بأنّه: (دليل ليس بنص) من كتاب أو سنّة (ولا إجماع) من أهل العقد والحل ولا قياس من الأقيسة الشرعية»[1].

كما نجد مفهوم الاستدلال inférence هو«كل قضية ضمنية يمكن استخلاصها من قول أو استخلاص نتيجة من محتواها الحرفي بالتأليف بين معطيات متنوعة(من داخل القول ومن خارجه)»[2].

وتطلق **أوركيوني**Orecchionneاسم استدلال inférence على«أي جميلة مضمرة يمكننا استخلاصها من القول واستنتاجها من محتواه الحرفي عبر التوفيق بين معلومات ذات وضع متغير (من داخل القول وخارجه)»[3] ، فهي تربط الاستدلال بالقول المضمر الذي يمكن استنتاجه من محتوى القول.

إنّ الأقوال التي يتكون منها استدلال ما مستقلة بعضها عن بعض، بحيث إن كل قولٍ منها يعبر عن قضية ما؛ أي يصف حالة ما، أو وضعا ما من أوضاع العالم، باعتباره وضعا واقعيا أو متخيلا، ولهذا فإنّ تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسا على الأقوال نفسها، ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها؛ أي على ما نقوله بشأن العالم.[4] أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب. ونوضح هذا بالمثال الآتي:

– أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

إذا نظرنا في الجملة السابقة سنجد أنها تتكون من حجة ونتيجة، والحجة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة. التعب يستدعي الراحة، فالتعب دليل وحجة على أنّ الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح.

إنّ الحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك.

---

[1] محمد الطيب الفاسي: مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول، الشيخ عبد القادر الفاسي، تقديم وتحقيق: إدريس الفاسي الفهري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ،الإمارات العربية المتحدة، دبي ط1 2004/1425 ص 308.

[2] آن ربول جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة ، بيروت ط1– تموز يوليو 2003 ، ص 262.

[3] كاترين كيربرات أوركيوني: المضمر، ترجمة ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى بيروت، كانون الأول (ديسمبر)2008، ص76.

[4] أبو بكر العزاوي : "اللغة والحجاج". العمدة في الطبع.الطبعة الأولى.الدار البيضاء .المغرب.ص16.

وقد تكون الحجة ظاهرة كما تكون مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما، ويمكن أن نبين ذلك بهذه الأمثلة:

-" أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة"؛ حيث تم التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في هذا الملفوظ.
- "أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة"؛ وهنا أُضْمِر الرابط في هذا المثال .
-"أنا متعب"؛ حيث لم يصرح هنا إلا بالحجة وأضمرت النتيجة التي يتم استنتاجها من السياق.
- "أنا بحاجة إلى الراحة"؛ وفي هذا المثال ذُكرت النتيجة وأضمرت الحجة.

يتميز الحجاج عن البرهان؛ لأنّ الأول استدلال طبيعي، أما الثاني فهو استدلال صوري؛ ف البرهان «الاستدلال الذي يُعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها»[1]، أما حدّ الحجاج فهو أنه«فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي... وهو أيضا جدلي؛ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة كأن تبنى الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان؛ بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات، وأن يُفهِم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المخاطب»[2]. فمجال الحجاج أوسع من مجال البرهان؛ لأنّ الحجاج يركز على مضمون العبارة واستعمالها بين المتكلم والمتلقي مع مراعاة الشروط المقامية والفكرية والاجتماعية للمتخاطبين.

كما أن الحجاج يختلف عن البرهان؛ لأنّ الحجاج «يتوجه إلى الاعتقاد بالدرجة الأولى؛ أي كل ما هو متعلق بترتيب القيم، بدل ترتيب الحقائق نظرا لعلاقة القيم بما هو ممكن وما هو محبّذ، فقوة الحجة هو ما يحدد الإقرار بها على عكس البرهان الذي يهتم بترتيب الحقيقة»[1]. وغالبا ما تحمل الأقوال الكلامية تضمينات وتلميحات ومعان خفية غير مباشرة، فتعرقل بذلك عمل القواعد المنطقية في البرهان، لذلك فإنّ حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي حجاجي وليس برهاني.

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998ص226.
[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي،ط4 2010ص65.
[1] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص125.

وأهم ما يميز الحجاج عن البرهان أنه«إذا كان البرهان أحادي الاتجاه وواقعا بالضرورة تحت حكم الصدق والكذب، فإنّ الحجاج متعدد الاتجاه واقع تحت نوع آخر من الحكم وهو الأقرب إلى الصدق»[1] فقيمة البرهان تتعلق بالصدق والكذب، أما تقويم التعابير الحجاجية فترتبط بالآخر الذي وضعت من أجله بُغية إقناعه، وليست الغاية من الحجاج الحكم بالصدق أو الكذب ولا بالبرهنة القطعية الصارمة؛ بل هي الإفحام والإقناع والتأثير في المتلقي بغض النظر عن صحة الحجة وصدقها.

يحاول الخطاب الحجاجي أن يوفق بين إرضاء العقل وإرضاء الآخر،[2]انطلاقا من تسلسل يضبطه العقل بين التعابير الحجاجية المرتبطة بالموضوع المحدد، والتي تجعل المخاطب يقبل على الاستماع عن طريق إشراكه في الحديث بإثارة ردود أفعاله، مع الأخذ في الحسبان الطبيعة الداخلية للمخاطبين من انتظارات ومواقف زمانية ومكانية تغطي عملية التخاطب مع معرفة الأشياء التي يستوجب إبرازها، والأشياء التي يجب التلميح إليها، وتلك التي ينبغي معارضتها.

وإذا كانت نتائج البرهان تتصف باليقين، فإنّ الحجاج يخضع «لتراتبية هرمية تجعل أدلته تتراوح بين الضعف والقوة، فهو عكس البرهان يوصلنا أحيانا إلى أكثر من نتيجة، ولا ينغلق على نفسه لاحتمال إضافة دليل أو أدلة جديدة»[3]. فالنتيجة التي يتوخاها الخطاب الحجاجي تؤكدها الوقائع والحقائق أو المواقف والأخلاق، حيث يمكن تحقيق أهداف الحجاج من عملية حجاجية مباشرة أو عبر أهداف وسيطة: مثل تهيئة المناخ المناسب للفكرة أو الموقف أو السلوك أو خلق الرغبة في تقبل الفكرة الحجاجية المطروحة.

يتطلب الحجاج متخاطبين ويراعي المقام وشروط الخطاب؛ أما البرهان فلا يستهدف شخصا معينا ولا يهتم بأسباب إنشاء الخطاب وفهمه.[1]فالمحاجج يكون على وعي بأحوال مخاطبيه ومقاماتهم التي يهدف إلى إقناعها، فيراعي مستوى العقل؛ لأنّ«بناء الحجاج مرتبط أساسا بتنوع المعنيين به، فهم المقصودون بفحواه المطالبون بإنجاز محمولاته، المشاركون في صياغته وإخراجه»[2].

---

[1] حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس كلية الآداب منوبة المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ص.135

[2] ينظر عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص126.

[3] حسن بدوح: المحاورة مقاربة تداولية ، عالم الكتب الحديث المغرب، إربد، 2012 ط1، ص133.

[1] ينظر نفسه، ص133.

[2] محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعصرة ، مجلة عالم الفكر، المجلد28 العدد3، مارس 2000، ص64.

يتمثل الحجاج عند "**بيرلمان**"Perelman في مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع المتلقي، وحتى وإن كانت يميز بين البرهنة والحجاج فإنّه «يعتبر البرهنة شكلا من أشكال الحجاج، إلا أنها تختلف عنه من حيث إنها تركز على جانب واحد هو الجانب الصوري الاستنتاجي، فإذا كانت البرهنة يمكن أن تقدم على شكل حساب فإنّ الحجاج يهدف إلى الإقناع والتأثير والاتفاق، ولا يمكن تصوره إلا في إطار نفسي اجتماعي»[1]، حيث يمكن للمحاجج أن يستعمل البرهنة من أجل تحقيق الإقناع وتتجلى خاصة في الحجج شبه المنطقية.

كما نجد أنّ"**ميشال ماير**" Meyer يقابل بين المنطق والحجاج قائلا«إنّ المنطق لا يسمح بأي غموض، وليست أحادية المعنى التي تشكل قاعدته نتاجا لأوضاع واقعية مرتبطة باستعمال اللغة، ففي هذه الأوضاع لا نصرح بالمعلومات كلها، ولا بالقواعد التي تلزم معالجتها من خلالها إننا نترك للمخاطبين أي المستمعين، فرصة اتخاذ القرار بشأن المفاهيم المستعملة؛ بل وفرصة جعلها أحادية المعنى وهذا اللبس الخاص باللغة الطبيعية هو الذي كان وراء السمعة السيئة للحجاج، فإذا ما كانت ألفاظ رسالة ما ملتبسة فلا شيء يمنع من اللعب على تعددية المعنى هاته، والتلاعب بموافقة المستمع عن طريق الغموض والضبابية، غير أنّ هذا اللبس هو ما يشكل غنى اللغات الطبيعية، فبإعطائها الفرصة للسياق كي يمنح للمستمع وسائل الحسم باتجاه هذا المعنى أو ذاك ستتوافر اللغة الطبيعية على مرونة كبيرة شبه لا نهائية، ذلك بالنظر إلى كل وضعية ممكنة للاستعمال»[2]، من هنا وجبت دراسة الحجاج بشكل مستقل عن المنطق، فهذه الدراسة هي التي تساعد على تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية من خلال البحث في التقنيات البلاغية والمنطقية، وهذا لا يمنع من دراسة كل الخطابات مهما اختلفت درجات حجاجيتها.

كما ربط **ميشال ماير**" Meyer الحجاج بالمساءلة «فما الحجة عنده إلا جواب عن وجهة نظر يُجاب بها عن سؤال مقدر، يستنتجه المتلقي ضمنيا من خلال الجواب»[1].

يذهب **جان ميشال آدم** J. M. Adam إلى اعتبار الوظيفة الحجاجية من وظائف اللغة مُضافة إلى الوظائف الست التي اقترحها **رومان جاكوبسون** Roman Jakobson (1896-1982)،

[1] أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج ، ص30.

[2]Meyer M.: Logique, Langage et Argumentation, Paris, Hachette,1982, P.113.

[1] عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص41.

وأنّ مفهوم الحجاج؛ إما أنْ ينْظر إليه على مستوى الخطاب، أو على مستوى التفاعل الاجتماعي، وإما أن يُنظر إليه على مستوى التنظيم التداولي للنص.[1]

حاول **أبو بكر العزاوي** تبيين الفرق بين كل الحجاج والاستدلال والبرهان، فالحجاج «يرتبط بالخطاب، والبرهنة ترتبط بالمنطق أو الرياضيات... ولفظ الاستدلال هو المصطلح الأعم الذي يشملهما جميعا فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجا، وكل برهنة أو استنباط أو قياس تعتبر استدلالا والعكس غير صحيح»[2]. والكثير من الأفعال الكلامية حسب **– ديكرو-** Ducrot لها وظيفة حجاجية عندما تهدف إلى توجيه المتلقي إما بفعل شيء أو بتركه لهذا يطلق عليه الحجاج داخل اللغة.[3]

أسّس **ديكرو**Ducrot نظرية حجاجية تداولية تدرس الوسائل اللغوية التي يمتلكها المعلم ليقنع مخاطبه حيث يكون الحجاج بتقديم المتكلم قولا (ق1) أو (مجموعة أقوال يقضي إلى التسليم بفعل آخر (ق2) أو (مجموعة أقوال)[4] .فيكون القول الأول حجة للقول الثاني، وقد تكون الحجة مصرحا بها أو ضمنية مفهومة من القول.

يرى **ديكرو**"Ducrot" أنّ الوظيفة الحجاجية تتوافر على خصائص في بنية اللغة ذاتها، فالقيمة الحجاجية لقول ما ليست مجموعة المعلومات التي يقدمها فقط؛بل«إنّ الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري تصلح لإعطاء توجيه المتلقي في هذا الاتجاه أوذاك»[5]. ومن هنا يكون الحجاج التداولي أوسع وأرحب مجالا كونه يدرس كل الأفعال الكلامية التي يتلفظ بها المتكلم إلى مخاطبه، وتربط بظروف مقاله، والتي من شأنها إفادة المستمع وإقناعه، وتظهر الحجة من خلال أدوات لسانية خاصة، والتي تفرض نتيجة معينة على المخاطب.

[1] يُنظر محمود طلحة : تداولية الخطاب السردي ، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، تقديم د مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1، 2012، ص103-104.

[2] أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج ص28.

[3]Voir Ducrot Osswald : Les Echelles argumentatives, Edition de Minuit, Paris, P.12.

[4] :voir J. c. Ancombre et Ducrot : L'argumentation dans la langue, philosophie et langage troisième édition, MARDAGA , P.08.

[5] Ducrot Osswald : Les Echelles argumentatives : P.18.

المحاضرة الثالثة عشر: السلالم الحجاجية:

تعريف السلم الحجاجي: L'Echelle Argumentative

ليست الحجة معادلة رياضية أو دليلا برهانيا فهي لا تثبت الحجة بصفة قطعية نهائية إنها«ترافع لصالح النتيجة وهذه المرافعة واحدة إلى جانب مرافعات أخرى ممكنة»[1]، ومعنى هذا أنه قد تشترك مجموعة من الحجج في نفس الفئة الحجاجية لتثبت نتيجة واحدة، وقد اكتشف **ديكرو**«الطبيعة السلمية التفاضلية التي تميز العلاقة بين الحجج من حيث قوتها في مساندة النتيجة وقد صاغ هذه الخاصية صياغة عامة على النحو التالي: إذا افترضنا أن متكلما يضع الملفوظين (م1) و(م2) ضمن فئة حجاجية واحدة (فا) تشترك عناصرها في مساندة نفس النتيجة ن، فإننا سنقرر أنه (أي المتكلم) يعتبر (م1) أقوى من(م2) في علاقتهما بالنتيجة (ن)، أي أنّ المتكلم يرى أنّ القبول باستنتاج (ن) من (م1) يستلزم القبول باستنتاج (ن) من (م1) يستلزم القبول باستنتاج(ن) من دون أن يكون العكس صحيحا»[2]؛ أي أنّ هذه الحجج تختلف عن بعضها من حيث القوة والضعف، واختلاف قوة كل حجة في إسناد هذه النتيجة الواحدة هو ما يعطيها السمة التفاضلية.

عرّف **"طه عبد الرحمن"** السلم الحجاجي بأنه«عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومُوفِّية بالشرطين التاليين:

أ-كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه»[1].

ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي، مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي؛ ويعني هذا المفهوم:«أنه إذا كان يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة

---

[1] رشيد الرضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الثاني : الحجاج مدارس وأعلام عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1، 1431-2010م ص104.

[2] رشيد الرضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الثاني : الحجاج مدارس وأعلام ، ص105.

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا»[1] ؛ حيث تقوم الروابط الحجاجية بتحديد الاتجاه الحجاجي للسلم.

قام "ديكرو" Ducrot بشرح فكرته باستعمال لفظة(أشد منplus que) «فلفظة جامد "أشد من" بارد، ولفظة بارد أشد من منعش، والشيء نفسه ينطبق على الماء الساخن والدافئ والحار، أو بين الفعل ألزم وأوصى وسمح، ويمكن المقارنة بينهم من خلال المجموعات الثلاثة؛ حيث سينشأ وصفها حتى لو لم يتم تحديد العلاقة "أشد من"...(وهكذا شبه الساخن هو وسيط بين حار ودافئ، وكلمة شبه النصح وسيطة بين نصح وسمح) وكيفية تحديد العلاقة "أشد من" هو الذي يشكل هذه السلالم»[2] وهذا يعني أن تراتبية الجمل تتحدد بوجود الرابط الحجاجي أو بعدم وجوده.

2- قوانين السلم الحجاجي:

هناك ثلاثة قوانين تحكم السلم الحجاجي وهي:

2-1- قانون الخفض: La Loi d'abaissement:يفيد هذا القانون أنه «إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»[3]، وهذا معناه أنّ الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي.

-2**- قانون تبديل السلم**:La Loi de Négation ويسمى بقانون النفي مقتضاه أنه«إذا كان القول دليلا على مدلول معين؛ فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[4]، وهذا معناه أنه إذا تم نفي إحدى الحجج أدّى هذا إلى نفي مدلول الخطاب، فـ«إذا كان قول"أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإنّ نفيه (أي~أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة»[1].

-3 قانون القلب: La Loi d'Inversio ويفيد هذا القانون أنه«إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول، في التدليل على نقيض

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، مجلة المنارة،http://www.almannarah.com ص6.

[2]J.C.Anscombre& Ducrot: l'argumentation dans la langue, philosophie et langage,P.54.

[3] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

[4] نفسه ، ص278.

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، (مقال) مجلة المنارة،http://www.almannarah.com .

المدلول»[1]، ويرتبط هذا القانون بالنفي، حيث يكون «السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الإثباتية»[2].

وسائل السلم الحجاجي اللغوية: يتحقق الحجاج في اللغة عبر مؤشرات لغوية؛ تساعد على تنامي الحجاج من أدنى إلى أعلى السلم أو من أعلاه إلى أسفله، حيث تكون في الأقوال علامات لإسناد الوظيفة الحجاجية للقول، وهذه العلامات هي روابط لغوية فـ«إذا كان القول أو الخطاب معلما؛ أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب»[3]، وهذه الروابط هي التي تحدد الاتجاه الحجاجي من ألفاظ ومؤشرات لغوية، بالإضافة إلى السياق اللغوي.

وقد ميّز **"ديكرو"**Ducrot بين نوعين من المؤشرات: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

3 –1 الروابط الحجاجية: les connecteurs تسهم الأدوات اللغوية في ترتيب الحجج والربط بينها وترسيخها في ذهن المتلقي، كما تسهم في تماسك الخطاب، و لقد أشار ديكرو إلى دورها الحجاجي حين أعطى أهمية خاصة للعلاقات التي تعبر عن نفسها محاججة واستخلاصا، فهي لا تنظم فقط الجمل التي يكون فيها المقطع الثاني معطى بوصفه تبريرا أو بوصفه نتيجة للمقطع الأول، وهذا ما يسمى في الفرنسية الروابط المساوقة " car لأنّ" و "donc إذن"، إنها تتدخل في دلالة "لكن" أو بالأحرى" اللتين تفرضان توجها مضادا للمحاججة[4]؛ حيث تضطلع بعض الأدوات اللغوية بدور حجاجي، يتمثل في«الربط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب»[5]، من بينها (لكن، بل، حتى، إذن، لأن، بما أن، وغيرها)، وتقوم بالربط بين قولين فأكثر، ضمن هدف إقناعي واحد، ولكل رابط سمة حجاجية وتداولية يمكن ضبطها أثناء الاستعمال.

3–1–1 الرابط الحجاجي لكن: هو رابط حجاجي يربط بين قولين متفاوتين في القوة، وهو يفيد الاستدراك، والاستدراك«تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بسببه، وهو

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي278.

[2] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة ، (مقال)مجلة المنارةhttp://www.almannarah.com .

[3] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة ، مجلة المنارةhttp://www.almannarah.com .

[4] ينظر: أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، ص505.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص508.

يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي»[1]، فاستعمال أداة الاستدراك "لكن" يكون من أجل إزالة الوهم وإبعاده فـ«كأنك لما أُخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك؛ فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابا، ولابد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك»[2]، فيكون القول بعد لكن مناقضا لما قبلها. مثال :"زيد ذكي لكنه كسول"، وتكون العلاقة الحجاجية بين الحجتين علاقة تناقض.

ويقع القول الثاني بعد "لكن" أقوى من القول الأول فـ«الدليل الذي يرد بعد "لكن" يكون أقوى من الدليل الذي يرد قبله، وتكون له الغلبة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله، فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل ويخدمها هي نتيجة القول برمته»[3]

ولقد قامت"**ديبورا شيفرن**"Deborah Schiffrin" بالمقارنة بين المؤشر"لكن" وحرف العطف "الواو"؛ إذ تقول:«بالرغم من أنّ "لكن" هي من أدوات تنسيق الخطاب إلا أن لها وظيفة تداولية مختلفة، وهو أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلا مضاداً؛ ولأن هذا الدور مؤسس على معناها المضاد، فإن مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو... إذ لا تنسق "لكن" بين الوحدات الوظيفية، إلا إذا كان هناك بعضا من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي»[4]، فالسلم الحجاجي يقوم إذن ضمن وظيفة المؤشر "لكن" على هذا التضاد الذي يجعل الحجة بعدها أقوى مقارنة بما قبلها.

3-1-2 الرابط الحجاجي"بل": وهي أداة ربط بين قولين، ومعناها«الإضراب عن الأول والإثبات للثاني»[1]، ويتحدد دورها في الربط نفيا أو إيجابا، حسب السياق الذي ترد فيه، فهي تأتي «لتدارك كلام غلط فيه...وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ غيره

3-1-3 الرابط الحجاجي "حتى:ومن أدوات السلم الحجاجي "حتى" حيث يكمن دورها في ترتيب عناصر القول، ويفهم معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه

[1] عباس حسن: النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة الجزء الثالث، ص616.

[2] موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، الجزء الثامن، ص80.

[3] أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر: نحو تحليل حجاجي لنص شعري ، مجلة دراسات سيميائية، أدبية، لسانية، ص374.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص512.

[1] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب ، تحقيق حسن حمد، مراجعة إميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ-1999م، ج1، ص57.

3-2 العوامل الحجاجية : les opérateurs والعامل الحجاجي هو «هو صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية» [1]، فالعامل الحجاجي لا يربط بين الحجة والنتيجة،بل تتقيد الجملة بعده، بإمكانات حجاجية ويتم الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتأكيد والاستثناء والنفي والشرط وبعض الأدوات مثل: ربما تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا،وغيرها. ومن هذه العوامل الحجاجية:

3-2-1 الحصر بـ(ما وإلا)-(لا و إلا) : وهي من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجة قوتها الحجاجية وهو «عامل يوجه القول نحو وجهة واحدة نحو الانخفاض» [2].

-2-2 الاستثناء بـ"إنما" : "إنما" أداة استثناء، و هي مركبة من "إنّ" و"ما" وبعد دخول "ما" على إنّ التوكيدية تغيرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، و« قد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدا عاديا، إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصرا» [3]، تأتي "إنما" لتصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم، واستعمال الاستثناء بـ"إنما"«لا تقوله لمن يجهل ذلك ، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنه يريد أن تنبهه» [4].

3-2-3 أسلوب التوكيد: هناك أدوات لتأكيد القول ودفع الإنكار مثل (إن – لام التوكيد) حيث تنهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم المسائل للمتلقي وفرضها عليه، ويكون أسلوب التوكيد بقصد رد إنكار المخاطب ودفع الشك، وأغراض هذا الأسلوب ثلاثة«أحدهما: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنده. وثانيهما: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين فلا بد أن يكرر اللفظ الذي ظنه غفلة السامع عنه...والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا» [1] ، ويكون باستعمال العامل الحجاجي"إنّ" ولام التوكيد

[1] محمد طروس : النظرية الحجاجية ص 112 .

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص 520

[3] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت لبنان،ط2-1424-2003 ص238.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص330.

[1] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص335-336.

الفهرس:

المحاضرة الأولى: الفلسفة التحليلية والفكر التداولي

المحاضرة الثانية: مفاهيم عامة في التداولية

المحاضرة الثالثة: المرجعية المعرفية للسانيات التداولية

المحاضرة الرابعة: الدرجات الثلاث للتداولية

المحاضرة الخامسة: الأفعال الكلامية عند أوستين

المحاضرة السادسة: الأفعال الكلامية عند سيرل

المحاضرة السابعة:متضمنات القول

المحاضرة الثامنة:نظرية الاستلزام الحواري

المحاضرة التاسعة: قوانين الخطاب

المحاضرة العاشرة :الاقتضاء التداولي

المحاضرة الحادية عشر: البلاغة الجديدة

المحاضرة الثانية عشر:الحجاج التداولي نظرية الحجاج في اللغة

المحاضرة الثالثة عشر: السلالم الحجاجية